الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945م

- قالمة -

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ والأثار التخصص: تاريخ عام

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام بعنوان:

فكرة الجامعة الإسلامية بين جمال الدين الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني (1876م-1909م)

من إعداد الطالبة: تحت إشراف الأستاذة:

- مريم هامل - سعاد برمضان

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
سعيدي سليم	أستاذ مساعد ب	رئيسا	جامعة 08 ماي 1945
سعاد برمضان	أستاذ مساعد أ	مشرفا ومقررا	جامعة 08 ماي 1945
مدور خميسة	أستاذ مساعد أ	عضوا مناقشا	جامعة 08 ماي 1945

السنة الجامعية: 2013 م/2014 م

1434هـ /1435هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : " وقل اعملوا فيسرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ."

التوبة الآية 105.

مقدمة

مقدمة:

شهد العالم الاسلامي منذ القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ميلادي، سلسلة هجمات استعمارية قامت بها الدول الاوربية نتيجة الثورة الصناعية. مما نجم عن ذلك سقوط عدة دول اسلامية تحت قبضة وتأثير الاستعمار، حيث سيطرة بريطانيا على شبه القارة الهندية وعلى مصر والسودان وأقطار الخليج العربي وعدن. وعبرت روسيا القوقاز وبسطت سيطرتها على أواسط أسيا في الوقت نفسه وجد فيه الاستعمار الفرنسي طريقة الى أقطار شمال افريقيا. هذا ما أثر سلبيا على حياة المسلمين الاقتصادية والدينية والعلمية وفي قوتهم الحضارية، وأدى هذا كله الى تسرب الضعف والتفكك الى الدولة العثمانية. الا انه مع تزايد الخطر الأوروبي المهدد للكيان الاسلامي، كان لابد على الدولة العثمانية أن تأخذ على عاتقها جمع شتات المسلمين، لتخفيف الضغط الخارجي من الدول الأوروبية من جهة، والأزمات الداخلية من جهة أخرى، ولقد شهدت فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني الممتدة من عام 1876م الى 1909م. ظهور فكرة الجامعة الاسلامية التي يعتبر جمال الدين الأفغاني الأب الروحي والداعية الأكبر لها في العالم الاسلامي. وكانت دعوته بهدف تجاوز ظروف العالم الاسلامي وتخطيها والانطلاق بالمسلمين، والتحرر من التخلف وابعاد شبح الجهود الذي خيم في فكر المسلمين لعدة قرون، في مقابل ذلك كانت ظروف الدولة العثمانية أكبر بكثير من جهود السلطان عبد الحميد الثاني، ومن خلال تلك الظروف العصيبة والمواقف الحرجة ما كان الا على السلطان الا تبني فكرة الجامعة الاسلامية التي نادى بها جمال الدين الأفغاني. محاولة منه حفظ الدولة العثمانية من الانهيار، وجمع شتات المسلمين في أرجاء العالم تحت لواء الخلافة، واستخدام الفكرة من أجل تقوية مركزه كسلطان للإمبراطورية العثمانية والمسلمين في شتى أنحاء العالم، وعلى هذا الأساس أردنا أن نطرح اشكالية الموضوع على الشكل التالي:

ماهي فكرة الجامعة الاسلامية التي قامت بين جمال الدين الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني؟ وعلى هذا الأساس نطرح جملة من التساؤلات وهي :

ماهي الأوضاع الداخلية والخارجية في الدولة العثمانية خلال فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني؟

من هو الداعية جمال الدين الأفغاني؟ وكيف تبلورة لديه فكرة الجامعة الاسلامية؟ وماهي أسس هذه الدعوة؟ ووسائل نشرها في العالم الاسلامي؟

من هو الداهية السلطان عبد الحميد الثاني؟ وماهي الأسباب والأهداف التي دفعته لتبني فكرة الجامعة الاسلامية؟ وفيما تمثلت الوسائل التي استعملها في الترويج للفكرة؟

أسباب اختيار الموضوع:

ويعود اختياري لهذا للموضوع لعدة اعتبارات تتمثل في:

أولا: كان اختياري لهذا الموضوع وليد رغبة قوية في نفسي للبحث في حقيقة فكرة الجامعة الاسلامية.

ثانيا: علاقتي بالموضوع منذ أن كنت طالبة في السنة الأولى لمرحلة الماستر حيث أعجبت بالموضوع من خلال دراسته في مادة المسألة الشرقية.

ثالثا: حقيقة الموضوع الذي يبرز الدور الكبير الذي قام به جمال الدين الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني في نشر الاسلام والحفاظ عليه واحياء منصب الخلافة ورابطة الدين.

رابعا: أن الموضوع يعتبر مظهرا من مظاهر اليقظة العربية الاسلامية الذي قام بتحريك رابطة الشعور الديني السلامي.

ولهذه الاعتبارات وغيرها وقع اختيار على بحث فكرة الجامعة الاسلامية بين جمال الدين الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني.

حدود الموضوع:

ويمكن تحديد الاطار المكاني للموضوع عموما بانتشار الفكرة في أرجاء العالم الاسلامي. في حين يبدأ اطارها الزماني من سنة 1871م وهي السنة التي وصل فيها جمال الدين الأفغاني لمصر التي قضى فيها ثمانية سنوات والتي فيها تبلورت فكرة الجامعة الاسلامية لديه، الى غاية سنة 1909م وهي سنة عزل السلطان عبد الحميد عن كرسي الخلافة.

وحاولت معالجة هذا الموضوع لتثمين جهد جمال الدين الأفغاني في نشر فكرة الجامعة الاسلامية، ودور السلطان عبد الحميد الثاني في الحفاظ على الهوية الاسلامية من خلال احياء منصب الخلافة، وحشد القرى في مواجهة العدوان الأوروبي على العالم الاسلامي، رغم الفترة الحرجة التي تمر بها الدولة العثمانية.

مناهج الدراسة:

اما المنهج المتبع في دراسة هذا الموضوع هو المنهج التحليلي حيث حاولنا أن نقدم الموضوع من خلال تحليل ووصف الأحداث التي لها علاقة بالموضوع. وبحكم طبيعة الموضوع أيضا اعتمدنا على المنهج التقويمي لتقييم فكرة الجامعة الاسلامية.

الدراسات السابقة:

وقد حظيت البحوث عن فكرة الجامعة الاسلامية بدراسات سابقة متعددة ومتنوعة، نذكر منها:

الدراسة التي قامت بها موقف بني المرجة والتي كان موضوعها صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني ومشروع الجامعة الاسلامية باللغة العربية، كذلك الدراسات التي قام بها الدكتور محمد عمارة ونذكر منها كتاب الجامعة الاسلامية والفكرة القومية نموذج مصطفى كامل، كذلك الدراسة التي قام بها محمد علي الصلابي والتي من أهمها كتاب "السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الاسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية" كما نجد أن أغلب الكتب المتخصصة في فترة السلطان عبد الحميد الثاني تختص بالدراسة في موضوع الجامعة الاسلامية.

خطة البحث:

وقد عنونت البحث بفكرة الجامعة الاسلامية بين جمال الدين الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني 1876م-1909م ولطبيعة البحث اخترت له خطة على النحو الآتي:

أربعة فصول، ومقدمة وخاتمة ومجموعة من الملاحق.

الفصل التمهيدي: والذي كان بعنوان أوضاع الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وأدرجنا فيه مبحثين، المبحث الأول تناول الدولة العثمانية على الصعيد الداخلي، حيث حاولت ابراز المشاكل الداخلية التي ألمت بالدولة من أزمات مالية واقتصادية، وكذلك ظهور الحركات القومية بدعم من الدول الأوروبية والجمعيات السرية التي تدعو الى استقلال العرب وانفصالهم عن الخلافة العثمانية وكذلك ازدياد خطر الدولة أيام الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد الثاني.

أما المبحث الثاني، فجاء بعنوان أوضاع الدولة العثمانية على الصعيد الخارجي حيث درسنا الثورات والاضطرابات التي عانت منها الدولة العثمانية، مثل تمردات وثورات البلقان للاستقلال عن

الدولة العثمانية، وكذلك الحرب الروسية العثمانية، والتي انتهت بمعاهدات صلح تمثلت في معاهدة سان ستيفانو عام 1878م، ومؤتمر برلين، والذي خرج بمقررات خطيرة على الدولة العثمانية.

أما الفصل الأول: فكان بعنوان جمال الدين الأفغاني وفكرة الجامعة الاسلامية، والذي تم تقسيمه الى ثلاث مباحث تناول المبحث الأول شخصية جمال الدين الأفغاني، فتطرقنا الى نسبه ونشأته، وكذلك زيارته الى مصر والتي منها بدأت فكرة الجامعة الاسلامية تتبلور في ذهنه، وبعدها ذكرنا أهم أعماله والتي حاولنا ادراج فيها أهم مؤلفاته على الرغم من أنه يحب الالتقاء مباشرة بسامعيه كما ذكرنا أهم صفاته وأخلاقه.

أما المبحث الثاني فجاء تحت عنوان فكرة الجامعة الاسلامية جمال الدين الأفغاني وتناولنا فيه دعوة جمال الدين للجامعة الاسلامية وأهدافه من انشاء، كما تناولنا فيه أهم مبادئ الجامعة الاسلامية .

أما المبحث الثالث فجاء بعنوان جريدة العروة الوثقى وحاولت أن أبرز فيه دور الجريدة في تحريك الشعور القومي. وكذلك على أنها وسيلة من وسائل نشر فكرة الجامعة الاسلامية. كما درسنا فيه كيف تم إصدار الجريدة، وأهدافها.

أما الفصل الثاني. فجاء بعنوان السلطان عبد الحميد الثاني و إنشاء الجامعة الإسلامية،الرغم من الظروف المحيطة به ، محاولا أن يصون الدولة العثمانية من الانهيار. وجمع شمل العالم الإسلامي تحت لواء الخلافة فحاولنا في المبحث الأول أن أبرز شخصية السلطان عبد الحميد، بالتطرق إلى مولده ونشأته، وكذلك زيارته مع عمه إلى أوروبا والتي كان لها تأثير كبير ساعده في دهاءه وفطنته السياسية، بعد اعتلاءه العرش.

أما المبحث الثاني فجاء تحت عنوان السلطان عبد الحميد الثاني وتبنى فكرة الجامعة الاسلامية ، فحاولنا ان نبين سعي السلطان عبد الحميد إلى إنشاء الجامعة من خلال دعوة جمال الدين الأفغاني إلى الإقامة في إسطنبول وماهي الأهداف و الأسباب الت دفعته إلى إنشاءها.

أما المبحث الثالث فجاء بعنوان الوسائل التي استخدمها السلطان عبد الحميد في نشر فكرة الجامعة الإسلامية، وماسخره لنشر الدعوة من استقطاب الشخصيات العربية، وإنشاء المدارس، وما سخره من إمكانيات لإنشاء الخط الحديدي الحجازي.

أما الفصل الثالث: والأخير فكان بعنوان المواقف العربية والأوروبية من إنشاء الجامعة الإسلامية وقد تضمن هذا الفصل بعض المواقف التي ايدت و عارضة الفكرة، وحاولنا تقييم الفكرة اخيرا.

فحاولنا في المبحث الأول ذكر أبرز الدول العربية التي أيدت فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية، وساندتها ماديا ومعنويا، أما المبحث الثاني فحاولنا إبراز بعض المواقف الأوروبية اتجاه الفكرة التي انقسمت بين مؤيد ومعارض حسب ما يخدم مصالحها.

أما المبحث الثالث فجاء تحت عنوان تقييم فكرة الجامعة الإسلامية فحاولنا ذكر مظاهر نجاح الفكرة والعوامل التي ساعدت على انتشارها، وكذلك التي وقعت في وجهها وعرقلت مسارها بين نجاح وفشل.

وكختام للدراسة وضعنا خاتمة جاءت كخلاصة وحوصلة للموضوع، استعرضت فيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها، وهي بمثابة الإجابة عن تساؤلات إشكالية الموضوع.

وتتمة لهذه الدراسة ألحقت بها مجموعة من الملاحق تمثلت في بعض الصور، ونصوص المعاهدات، ووثائق خاصة بالموضوع وخرائط، تليها بعد ذلك قائمة للمادة العلمية من المصادر والمراجع، وأخيرا فهرس عام للدراسة.

المصادر والمراجع المعتمدة:

واعتمدت لإنجاز هذه الدراسة على مجموعة من المصادر الهامة نذكر أهمها:

كتاب المسألة الشرقية لمصطفى كامل الذي احتوى على العديد من الأحداث في عهد السلطان عبد الحميد من ثورات وتمردات، كذلك كتاب حقيقة جمال الدين الأفغاني لابن أخته ميرزا لطف الله خان وترجمة إلى اللغة العربية عبد النعيم حسين والذي تحدث عن حياة الأفغاني من مولده إلى وفاته بالتفصيل، وكذلك استفدنا منه كثيرا في مقابلة الافغاني والسلطان عبد الحميد الثاني، وكذلك كتاب الرد على الهريين لجمال الدين الأفغاني الذي نقله م الفارسية إلى العربية الشيخ محمد عبد وحققه محمد حامد محمد.

كذلك تاريخ الأستاذ محمد عبده للسيد رشيد رضا، كذلك من أهم المصادر نذكر أيضا مذكرات الأمير عائشة التي كانت بعنوان والدي السلطان عبد الحميد الثاني.

كذلك اعتمدنا على مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني التي احتوت على العديد من الاحداث والأعمال التي قام بها، كذلك كتاب تاريخ الدولة العلمية العثمانية لمحمد فريد بك المحامي الذي ساعدنا في الاطلاع على كيفية وصول السلطان عبد الحميد الى كرسي العرش.

أما بالنسبة لأهم المراجع التي ساعدت على إثراء الموضوع، نذكر مؤلفات م
تنوعت وتعددت حيث قدم فيها كمية معلومات قيمة نذكر منها كتب احدثت عن شخ
الأفغاني وكشفت العديد من الالتباسات والغموض حول هذه الشخصية والتي هي كتاب جمال
الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام، وكذلك كتاب جمال الدين الأفغاني المفتري عليه، كما تطرق
لهذه الشخصية وفكرة الجامعة الإسلامية في عدة مؤلفات منها كتاب بعنوان شخصيات لها تاريخ، وكتاب
تيارات الفكر الإسلامي، وكتاب الجامعة الإسلامية والفكرة القومية، وكذلك كتاب العرب والتحدي.

ونذكر أيضا عدة مراجع أخرى تناولت موضوع دراستا منها كتاب لمحمد سهيل طقوش الذي
كان تحت عنوان العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب الذي قدم لنا معلومات هامة عن السلطان عبد
الحميد وفكرة الجامعة الاسلامية وبعض الوسائل في دعم ونشر الفكرة في العالم الإسلامي.

كذلك كتاب الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها لمؤلفه عبد العزيز محمد الشناوي، والذي
اعتمدت عليه كثيرا في الفصل الأخير حيث قدم معلومات قيمة عن موافق الدول العربية المؤيدة للجامعة
الإسلامية وكذلك تقييم الفكرة وأسباب فشلها، اضافة إلى المصادر والمراجع اعتمدنا على مجموعة قيمة
من الموسوعات والمجالات التي ساعدتنا في اثراء الموضوع وتنوع المادة العلمية.

الصعوبات والعراقيل:

ومن الصعوبات التي واجهتنا وجود بعض التناقضات ما تطلب منا الشك واليقظة وعدم توفر
بعض المراجع التي تناولت الفصل الثالث، والحمد لله والذي لا يصعب مع دعائه شيء، أن سهل لي ما
أردت.

وختاما أتقدم بالشكر لكل من ساعدني على إنجاز هذا البحث في مقدمتهم الاستاذة المشرفة" برمضان
سعاد" التي لم تبخل علي بإرشاداتها.

والحمد لله سبحانه وتعالى الذي وفقني في انجاز هذا البحث.

الفصل التمهيدي:

أوضاع الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني.

المبحث الأول: على الصعيد الداخلي.

المبحث الثاني: على الصعيد الخارجي.

تعتبر فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني من أصعب الفترات التاريخية الحرجة في تاريخ الإمبراطورية العثمانية، وهذا التزامن عصره مع الهجمة الغربية الأوربية من أجل البحث عن الموارد الأولية والأسواق الخارجية، بالإضافة إلى أن شخصية السلطان عبد الحميد الثاني ودهاءه السياسي مكناه في خضم تلك الأوضاع الداخلية والخارجية التي واجهته من إطالة عمر الدولة العثمانية، كما شهدت فترة حكمه اهتماما عثمانيا ملحوظا بالبلاد العربية، وهذا ما منح للعناصر العربية مكانة أوسع في حياة الدولة وكذلك الاستفادة من بعض المشاريع والتي كان لها أثر كبيرا في نمو الوعي القومي العربي[1].

1- على الصعيد الداخلي:

في الوقت الذي اعتلى فيه السلطان عبد الحميد الثاني العرش كانت الخزينة العثمانية تعاني من أزمة مالية خانقة، بالإضافة إلى الديون الخارجية، ما أدى إلى عجز في ميزانية الدولة حدا لا يطاق[2] حيث بلغت ديون الدولة ما يقارب من ثلاثمائة مليون ليرة[3] ، ولهذا قام عبد الحميد برهن معظم المنافع العامة في الدولة لدى أصحاب رؤوس الأموال الأجانب، ثم انفق جزءا كبيرا من هذه الأموال التي حصل عليها في سبيل إعادة تنظيم قواته العسكرية، وخصوصا على المدارس الحربية، وبعد هذا توجه إلى العمل على تدعيم مركزه الدولي و هذا باستناده إلى قوة الدين و الرابطة الإسلامية[4].

أما التحدي الثاني الذي واجه السلطان عبد الحميد الثاني، كان الامتيازات الأجنبية وآثارها المدمرة، وقد حاول عبد الحميد الثاني في كثير من المرات التخلص والتخفيف من قيودها، كذلك حاولت الدولة العثمانية استعادة سيادتها على بعض القطاعات الحيوية التي كانت مراقبة من طرف الدول الأوروبية كقطاع مكاتب البريد الأجنبية.

لكن الدول الأوروبية ردت باستخدام القوة وهذا رغبة في الحفاظ على امتيازاتها بالإمبراطورية العثمانية[5].

---

[1]- غربي الغالي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي، 1288-1916م، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص 226.

[2]- فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني: رؤية جديدة في ضوء المصادر والوثائق العثمانية، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003، ص 447.

[3]- سليمان صالح الخراشي، كيف سقطت الدولة العثمانية، ط1، دار القاسم للنشر، الرياض، 1420هـ، ص22.

[4]- جلال يحي، العالم العربي الحديث والمعاصر، ج1، د ط، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1998م، ص 209.

[5]- غربي الغالي، المرجع السابق، ص228،227

هذا من الناحية الاقتصادية، أما الناحية الإدارية والاجتماعية، لقد عمت الفوضى داخل الدولة وهذا بانتشار الرشوة والغش والفقر بالإضافة إلى انتشار المحسوبية والمنسوبية[1].

كذلك انتشر التعصب القومي أيام الخليفة عبد الحميد الثاني ومفاهيم القومية بصورة كبيرة، وكان روادها من الرجال المتأثرين والمفتونين بحضارة أوروبا وكذلك النصارى، ولقد سعت هذه الفئة لنشر المفاهيم والدعوة إلى العصبية، وقامت أوروبا بدعم القائمين بهذه الحركة القومية وهذا من خلال الإرساليات التبشيرية[2]، ومع انتشار هذه الدعوة بدأ تأسيس الجمعيات ذات الأهداف السياسية وإن كانت هذه الجمعيات تحمل أحيانا صفات وأسماء أدبية وعلمية، ومن أهم مراكز هذه الجمعيات كان بيروت وإستانبول[3].

وبدأت هذه الجمعيات السرية تدعو لاستقلال العرب وانفصالهم عن الخلافة وأخذ المفكرون يحضون الناس على التمرد والعصيان ويدفعونهم إلى المطالبة بالحرية[4]، وقد كان للنصرانية دور كبير في تشجيع تلك الجمعيات التي أنشئت في بيروت والتي كان من مؤسسيها بطرس البستاني 1819-1883م وناصيف اليازجي 1800-1871م[5].

ومن أشهر الجمعيات « جمعية تركيا الفتاة » والتي تأسست في باريس وكان لها فروع في برلين وسلانيك وإستانبول وكانت رئاستها "لأحمد رضا بك" الذي فتن بأفكار الثورة الفرنسية، ومن أخطر مراكز الجمعية مركز سلانيك الذي ضم عددا كبيرا من الضباط الذين كانوا جناحا عسكريا في هذه الجمعية وعرف باسم الاتحاد والترقي، والذي قام بالانقلاب العسكري ضد دولة الخلافة عام 1868م[6]، ومن أهم أهدافها القضاء على حكم السلطان عبد الحميد الثاني وإقامة حكومة صالحة على أساس انصهار الأجناس والأديان كلها، وكانت الكثرة الغالبية فيها من الأتراك ويليهم اليهود[7]، وكانت جمعية الاتحاد والترقي تتلقى مساعدات مالية من يهود الدونمة[8]، ولقد حاول السلطان عبد الحميد

---

[1]- محمد مصطفى الهلالي، السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود، ط1، دار الفكر، دمشق، 2004م، ص29.

[2]- راغب السرجاني، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، ط1، مؤسسة إقرأ، د.م، 2005م، ص210.

[3]- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، ج8، ط1، المكتب الإسلامي، د.م، 2000م ، ص181.

[4]- عبد الرحيم عبد الرحمان، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، الإسلام والمسلمون في إفريقيا وآسيا، التاريخ الحديث والمعاصر، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 2008، ص112.

[5]- سليمان بن صالح الخراشي، المرجع السابق، ص22،23.

[6]- جمال عبد الهادي محمد وآخرون، تاريخ الأمة الواحدة: صفحات من تاريخ الدولة العثمانية د.ط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، د.م،د.ت، ص25.

[7]- جورج أنطونيوس، يقظة العرب،تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط3، دار العالم للملايين، بيروت، 1987، ص176.

[8]- يهود الدونمة، اشتهروا أيضا باسم "السباتائين"، نسبة الى مؤسس هذه الحركة و هو "سباتاي زيفي" وتعني كلمة الدونمة الزنديق، المرتد ولقد استقرت هذه الجماعة من اليهود في الدولة العثمانية بعد هجرتهم من الأندلس، أنظر محمد علي قطب، يهود الدونمة، أصلهم، نشأتهم، حقيقتهم، د.ط، المطبعة الفنية، القاهرة، د.ت، ص8،9.

الثاني كبحها والقضاء عليها فترة طويلة من الزمن[1]، ولقد كان الكثير من قادة هذه الجماعة من اليهود أمثال قره صو، وموئيز كوهين وابراهيم غالانتي[2].

ولقد ازداد خطر يهود الدونمة خاصة بعد تعاونهم مع المحافل الماسونية للإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني، وهذا من أجل تحقيق هدفهم والمتمثل في المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، واستخدموا العديد من الشعارات كالحرية والديمقراطية والدعوة إلى إزاحة السلطة المستبدة[3].

وتعتبر المحافل الماسونية من أهم الجمعيات التي ساعدت معارضين السلطان عبد الحميد الثاني في تحركاتهم وتنظيماتهم، وهذا بحكم خبرتهم الواسعة في العمل السري، كما أنها كانت تعمل كإحدى أجهزة الاستخبارات التي تخدم الدول الأوروبية الاستعمارية المرتبطة بها، وكان للمحافل الماسونية مع يهود الدونمة دور مؤثرا في التخطيط لخلع السلطان فكانت بمثابة العقل المدبر من جهة كما كانت الدول الأجنبية بمثابة الممول من جهة أخرى[4].

وفي عام 1886م نشأت حركة عشاق صهيون في روسيا وكانت هذه الحركة تدعوا إلى إحياء اللغة العبرية واستيطان فلسطين، وفي سنة 1896م نشر كتاب الدولة اليهودية، لـ تيودور هرتزل في فيينا وتلا ذلك انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في "بال" بسويسرا عام 1897م، ولقد حدد هذا المؤتمر دستور الصهيونية وأهدافها[5].

ولقد استطاع زعيم الحركة اليهودية الصهيونية العالمية هرتزل أن يتحصل على تأييد أوروبي للمسألة اليهودية من ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وجعل هذه الدول قوة ضغط على الدولة العثمانية، والمطالبة بخلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين تحت حماية القانون العام، وبهذا ازداد خطر اليهود على حكم السلطان عبد الحميد الثاني[6].

---

[1]- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م، ص597،598.

[2] محمد مصطفى الهلالي، المرجع السابق، ص169.

[3]– علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار النشر والتوزيع الإسلامية، بورسعيد، 2001م، ص444.

[4]– رفيق شاكر النشاة، عبد الثاني وفلسطين، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1991م، ص119.

[5]– محمد الخير عبد القادر، نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية، دراسة للقضية العربية في خمسين عام (1785-1925)، ط1، دار التوفيق النموذجية، د.م، 1985م، ص91،92.

[6]– علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية، ط1، المكتبة العصرية،بيروت، 2010م، ص180.

2- على الصعيد الخارجي:

1- تمردات وثورات البلقان: وجد السلطان عبد الحميد الثاني نفسه منذ اليوم الأول الذي ارتقى فيه العرش جوا مشبعا بالثورات والاضطرابات، حيث أصبح للوطنية معنى جديدا أخذت جذوره تتوسع في الولايات العثمانية[1]، هذا بالإضافة إلى تطور الحركات القومية والانفصالية في البلقان نتيجة للتأثيرات القادمة من مختلف العواصم الأوروبية هذا ما خلق مناخا مناسب لانتشارها بالإضافة إلى حركات العصيان التي كانت بدأت في البوسنة والهرسك وبلغاريا[2].

ولقد قام سكان الجبل الأسود والصرب بتحريض بلاد الهرسك للخروج عن الدولة العثمانية، وكان ذلك سنة 1876م، واستطاعت الدولة العثمانية إخماد الثورة، ولمنع الدول الأوروبية من التدخل أصدر السلطان عبد الحميد الثاني قرارا بفصل القضاء عن السلطة التنفيذية وتعيين القضاة بالانتخاب عن طريق الأهالي، والمساواة في الضرائب بين المسلمين والنصارى[3]، لكن هذا لم يرضي السكان، فعادوا إلى الثورة التي تم قمعها كذلك، ولكن النمسا التي كانت وراء الثورة وترغب في ضم البوسنة والهرسك إليها، واسترت في تحريض السكان ضد الدولة العثمانية، وتعملت مع روسيا وألمانيا وفرنسا وإنجلترا على الطلب من السلطان بالقيام بإصلاحات فوافق عليها السلطان عبد الحميد، ولكن أنصار البوسنة لم يتقبلوا ذلك، هذا ما دل على أن الدول الأوروبية تسعى إلى التدخل المباشر في شؤون الدولة، والمطالبة بالإصلاحات مجرد مبررات واهية[4].

- كما قامت ثورة في البلغار في نفس الوقت الذي قام فيه النصارى في البوسنة والهرسك بثورة بدعم من النمسا وروسيا، كما تأسست جمعيات في بلاد البلغار لنشر النفوذ الروسي بين النصارى الأرثوذكس والصقالبة، وكذلك تحريض سكان الصرب والبوسنة والهرسك على الثورة ضد العثمانيين، وعندما أنزلت الدولة العثمانية بعض الأسر الشركسية احتج البلغار على ذلك فقاموا بثورة وساعدتهم روسيا والنمسا بالسلاح والأموال، لكن الدولة العثمانية تمكنت من القضاء على الثورة[5].

---

[1]- محمد سهيل طقوس، العثمانيون من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة، ط1، دار بيروت المحروسة، بيروت، 1995م، ص435.
[2]- عائشة عثمان أوغلي، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي، إشراف أكمل الدين إحسان أوغلي، تر: صالح سعداوي، دط، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، 1991م، ص13.
[3]- عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط1، بيروت، 2008م، ص670.
[4]- إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، د.م، 1996، ص189.
[5]- علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص408.

- وأخذت الدول الأوروبية تثير الشائعات عن المجازر التي ارتكبها العثمانيون، ضد النصارى وقام الروس والألمان والنمساويون بدفع الصرب والجبل الأسود للقيام بحرب ضدهم[1].

ولقد كانت أنظار روسيا تطمح إلى توسيع حدودها من جهة بلاد البوسنة والهرسك، ولقد التحق العديد من الضباط الروسيين بالجيش الصربي وكانت روسيا تحارب الدولة العثمانية باسم الصرب، وتمكنت الدولة العثمانية من الانتصار على الصرب وحليفتها روسيا[2].

فتدخلت الدول الأوروبية وطلبت وقف القتال، وإجتمع مندوبو الدول الأوروبية في استانبول وقدموا اقتراحات للدولة العثمانية من أهمها: تقسيم بلاد البلغار إلى ولايتين ويكون ولاتها من النصارى وألا تحتل جنود الدولة العثمانية سوى القلاع وبعض المدن الكبرى، وأن تشكل الشرطة البلغارية من النصارى.

- وأن تشكل كذلك لجنة دولية لتنفيذ القرارات، وأن تعطى هذه الامتيازات لإمارتي البوسنة والهرسك أيضا.
- وأن تتنازل الدولة عن بعض هذه الأراضي للصرب والجبل الأسود في مقابل هذا رفضت الدولة العثمانية هذه القرارات وعقدت صلحا منفردا مع الصرب وسحبت جيوشها من بلاد الصرب.
- وأن يرفع العلم العثماني والصربي معا دليلا على سيادة الدولة العثمانية[3].

2- الحرب الروسية العثمانية:

منذ سقوط القسطنطينية في يد العثمانيين ظلت العوامل الدينية والاقتصادية تدفع روسيا للسيطرة على الممرات العثمانية، وبالتالي على العاصمة العثمانية في سبيل تأمين تجارتها وتنفيذ ادعاءاتها في وراثة الإمبراطورية البيزنطية، فكان ذلك تارة بالأسلوب العسكري وتارة أخرى بأسلوب التفاهم الدولي، ولقد أعلنت روسيا مرارا عن سياساتها التقسيمية للدولة العثمانية إلا أن خططها اصطدمت في كل مرة في بمصالح الدول الأوروبية الأخرى، فالنمسا كانت تنازعها على البلقان، أما بريطانيا وفرنسا عارضتها على القضاء على الدولة العثمانية لأسباب إستراتيجية واقتصادية، ونتج عن تضارب المصالح الدولية إلى تأزم العلاقات الروسية العثمانية[4].

---

[1]- عيسى الحسن، المرجع السابق، ص671.
[2]- فريد بك محمد، تاريخ الدولة العثمانية، تر: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981م، ص610-611.
[3]- إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص190.
[4]- عبد الرؤوف سنو، تاريخ العرب والعالم، العلاقات الروسية العثمانية، 1687-1878م، حرب القرم :ممهداتها وتطوراتها ونتائجها، 1853-1856م، الحلقة الثالثة، دمشق، د ن، 1985، ص1.

وبعد نجاح السلطان عبد الحميد الثاني في تفويت الفرصة على أعضاء مؤتمر استانبول فيما يخص الأزمة البلقانية، راحت كل دولة تتصرف حسب مصالحها وأهدافها بالإضافة إلى تقطع العلاقات بين الدول الأوروبية والدولة العثمانية، وبالأخص روسيا، وبهذا رأت روسيا الحل المتبقي أمامها هو إعلان الحرب ضد الدولة العثمانية[1].

وفي عام 1877م أعلنت روسيا الحرب على تركيا وانضمت إليها رومانيا وصربيا والجبل الأسود وبلغاريا، بينما لم يكن لتركيا في ذلك الوقت حليف قوي تستطيع أن تعتمد على تأييده[2] ، أما النمسا فقد وعدها قيصر روسيا بإعطائها البوسنة والهرسك بعد انتهاء أزمة المسألة الشرقية، وبهذا بقي موقف النمسا حياديا اتجاه الحرب الروسية العثمانية[3] .

ودخل العثمانيون في حرب طاحنة مع الروس وعبرت الجيوش الروسية نهر الدانوب واستولت على بعض المدن التابعة للعثمانيين التي تقع في بلغاريا حاليا، كما استولى الروس على بعض المعابر المهمة المؤدية إلى البلقان[4] .

وحققت القوات الروسية أواخر سنة 1877م، ومطلع العام التالي انتصارات حاسمة على الجيوش العثمانية في نواحي قارس وبايزيد وساغان لوغ وقلعة خينيس[5] ،ولقد أسفرت هذه الحرب عن تمزيق أجزاء من الدولة العثمانية، ومنيت القوات العثمانية بالهزيمة[6].

وإزاء هذه التطورات تدخلت بريطانيا لمنع روسيا من احتلال استانبول حتى لا تصل روسيا إلى مياه البحر المتوسط الدافئة عبر مضيقي البوسفور والدردنيل[7]، وبالفعل وصلت قطع من الأسطول البريطاني إلى الدردنيل لمنع أي تقدم روسي، أما النمسا فقد أظهرت قلقها من احتمال نجاح البلقانيين ضد تركيا، وانتقال العدوى إلى ممتلكاتها وفي الوقت نفسه كانت ترى أن أي تقدم روسي نحو القسطنطينية، قد يعطي روسيا فرصة السيطرة على مدخل نهر الدانوب، وهو النهر الذي يربط بين الممتلكات النمساوية وبهذا وقع الخلاف بين السياسة الروسية والنمساوية في البلقان واتضح لقيصر روسيا صعوبة تحقيق أهدافه، ولم يكن أمامه إلا إبرام الصلح مع تركيا[8].

---

[1]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص442.
[2]- محمد بركات، موسوعة الحرب العالمية الأولى، قصة الأطماع وملحمة الصراع، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، 2007م، ص34.
[3]- مصطفى كامل، المسألة الشرقية، ط1، مطبعة الآداب، مصر، 1898م، ص151.
[4]- علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص410-411.
[5]- عبد الرؤوف سنو، النزاعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية، 1877-1881م، بلاد الشام-الحجاز-كردستان-ألبانيا، ط1، دار بيسان، بيروت، 1998م، ص117.
[6]- جمال عبد الهادي محمد وآخرون، الدولة العثمانية أخطاء يجب أن تصحح، ج2، ط1، دار الوفاء، المنصورة، 1995م، ص22.
[7]- إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص190.
[8]- محمد بركات، المرجع السابق، ص 36.

أما الدولة العثمانية فبعدما رأت أن إطالة الحرب مضرة بها هي الأخرى وافقت على إيقاف الحرب وعقد الهدنة مع روسيا، واشتطرت روسيا عند عقد الهدنة أن القواعد الأولية للصلح يجب أن تكون باستقلال الصرب ورومانيا وجعل بلغاريا مستقلة استقلال إداريا، وجعل الإدارة في البوسنة والهرسك مستقلة وكذلك تتنازل الدولة العثمانية للجبل الأسود عن بعض الأراضي مع تقدير غرامة حربية تدفعها تركيا لروسيا[1].

3- معاهدة سان ستيفانو: 15 فيفري 1295هـ-1878م

عرفت معاهدة الصلح باسم معاهدة سان ستيفانو[2]، وقعت هذه المعاهدة في الثالث من شهر مارس عام 1878م، وهي من أكثر المعاهدات ضررا بالدولة العثمانية، وتعد في القانون الدولي العام من أنواع المعاهدات غير المتكافئة أملتها دولة منتصرة على دولة منهزمة[3].

وقد أنهت معاهدة ستيفانو الحرب بين الدولة العثمانية من جهة، وروسيا ورومانيا والجبل الأسود وكذلك الصرب من جهة أخرى.[4] وكان نجاح ستيفانو بالغ الأهمية بالنسبة لروسيا لأنها حققت أهدافها لكن مقابل ذلك لقد أثارت هذه المعاهدة استنكار سائر الدول الأوروبية ، فاقترح بسمارك في هذه الحال إلى عقد مؤتمر دولي في برلين[5].

4- مؤتمر برلين: 1878م-1295هـ

كانت النمسا أشد الدول غضبا ضد روسيا بعد معاهدة سان ستيفانو والتي اتفقت مع إنجلترا على معارضتها، وطلبت من روسيا إعادة عرض معاهدة سان ستيفانو[6].وكانت برلين مقرا للمؤتمر، ولقد شاركت فيه ستع دول أوروبية كبرى وهي الدولة العثمانية وبريطانيا، فرنسا، روسيا، ألمانيا، ايطاليا، النمسا والمجر، كما سمح لوفود عن اليونان والصرب ورومانيا والجبل الأسود وفارس والأرمن واليهود بالحضور[7]، وكانت أهم قرارات مؤتمر برلين 1878م ما يلي:

1- تأخذ روسيا فارس وباطوم من تركيا.
2- استقلال الصرب والجبل الأسود.

---

[1]- مصطفى كامل، المصدر السابق، ص172.
[2]- سان ستيفانو، وهي قرية ساحلية صغيرة على بحر مرمرة تبعد عشر أميال عن العاصمة استانبول، أنظر محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص448.
[3]- محمد عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980م، ص241.
[4]-خيرالدين البيطار، الموسوعة السياسية العسكرية ، ج ، دار أسامة، الأردن، 2003م، ص313.
[5]-جيهيج بجليس، موسوعة أحداث القرن العشرين، الحرب العالمية الأولى وتداعياتها ، دار نوبليس، بيروت، 2004م، ص31.
[6]-مصطفى كامل، المصدر السابق، ص201.
[7]-محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص455.

3- تولي النمسا إدارة البوسنة والهرسك[1].

وبهذه القرارات فان مؤتمر برلين من المعالم البارزة لتدهور الإمبراطورية العثمانية التي أرغمت على التنازل عن مساحات واسعة من أملاكها[2]، كما أنه يسجل تعهد بريطانيا وفرنسا بالمحافظة على ممتلكات الدولة العثمانية، غير أن بريطانيا وفرنسا قد كشفتا عن نواياهما الاستعمارية فيما بعد[3].

ولقد توالت الأزمات السياسية في وجه السلطان عبد الحميد الثاني بعد الحرب العثمانية الروسية وتعود هذه الأزمات للأسباب التالية:

1- نمو الروح القومية في البلقان ومحاولة البلقانيين في توسيع أراضيهم على حساب العثمانيين، وكان هذا بتشجيع من الدول الأوروبية وهذا بهدف اقتطاع أجزاء منها.
2- تطلع بعض الشعوب الشرقية إلى الاستقلال بخاصة الأرمن في أسيا.
3- أطماع الدول الأوروبية الكبرى باستثناء ألمانيا في الاستيلاء على ما تبقى من أقاليم للدولة[4].

ولم يمض وقت طويل حتى احتلت فرنسا تونس عام 1881م مدعية أنها بهذا الإجراء تعوض نفسها عن احتلال بريطانيا لقبرص، وما لبثت أن فرضت حمايتها عليها، وفي عام 1882م احتلت بريطانيا مصر، معلنة أن احتلالها مؤقت، ولم يقتصر الأمر إلى هذا الحد ففي عام 1881م حصلت اليونان على بعض أراضي الدولة بما في ذلك ثاليا، وأدرك عبد الحميد أنه لا يستطيع الوقوف أمام الدول الأوروبية بمفرده، فقد كان حريصا على الاحتفاظ بما في يديه من أملاك، خائفا من مزيدا من التدخلات الأوروبية[5]، ولمواجهة هذه الأوضاع المتردية كان عليه أن يتخذ لقب الخلافة لمواجهة هذه التحديات وعمل على إنشاء الجامعة الإسلامية، لكي يعمل على تكتل كافة المسلمين من حوله في الداخل والخارج، ولقد شهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر تيارا فكريا إسلاميا يدعوا إلى إنشاء الجامعة الإسلامية على يد السيد جمال الدين الأفغاني[6].

---

[1]-عبد الله الرزق إبراهيم، شوقي عطا الله الجمل، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م، ص221.
[2]-اسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص195.
[3]-علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط،ص415.
[4]- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 459.
[5]- أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، بيروت، 1986م-1406هـ، ص246-247.
[6]- إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 196-198.

الفصل الأول:

جمال الدين الأفغاني وفكرة الجامعة الإسلامية.

المبحث الأول: شخصية جمال الدين الأفغاني.

المبحث الثاني: دعوة الأفغاني إلى الجامعة الإسلامية.

المبحث الثالث: جريدة العروة الوثقى

تمهيد:

إن الدعوة للجامعة الإسلامية قديمة قدم الدعوة الإسلامية والتي وصلت ذروتها ومجدها في العهد العباسي الأول، لكنها سرعان ما أخذت تتفكك إلى دول ودويلات، كما ظهرت بعض الدول التي رفضت الخلافة العباسية، وحتى في عهد الدولة العثمانية لم يعر السلاطين العثمانيين لفكرة الجامعة الإسلامية اهتماما، إلا أن دب الضعف في جسدها، خلال القرن التاسع عشر، حيث ظهر مفكرون إسلاميون يدعون إلى انقاذ العالم الإسلامي من نهب الدول الاستعمارية وهذا يكون بتوحيد المسلمين ليقفوا وقفة رجل واحد أمام بطش الاستعمار وكانت هناك عديد من الدعوات للتضامن الإسلامي والجامعة الإسلامية، ومن أبرز هذه الدعوات، دعوة السيد جمال الدين الأفغاني والتي تزامنت مع حكم السلطان عبد الحميد الثاني، ولقد كرس هذا الداعية الأفغاني فكرة ولسانه وقلمه ودينه للدعوة إلى الجامعة الإسلامية عبر كل أقطار العالم الإسلامي.

المبحث الأول: شخصية جمال الدين الأفغاني

1-نسبه:

لقد ذكرت بعض المصادر ومجموعة من المراجع على أن "السيد جمال الدين ينتمي نسبه إلى السيد علي الترمذي المحدث المشهور ويرتقي إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه"[1]، فهو عربي الأصل هاشمي النسب، حسيني[2]، فهو "الحكيم، الخطيب، البالغ الحجة، النبيه المتوقد الذكاء الجريء الذي لا يعرف الخوف النسيب السيد جمال الدين الحسيني الأفغاني"[3]، وسلسلة نسبه كما يلي:

فهو السيد جمال الدين بن صفدر بن علي بن السيد رضى الدين، ابن السيد زين العابدين بن ظهير الدين، بن السيد جمال الدين، بن السيد عبد الوهاب بن مصطفى بن السيد علي الترمذي، بن السيد قنبر علي بن أحمد نور بن السيد يوسف نور، بن محمد نور بخش الترمذي، بن السيد أحمد بيغم بن السيد براق، بن السيد أحمد مشتاق بن السيد شاه أبو أيوب أبو تراب بن حامد بن السيد محمود، بن السيد اسحاق بن عثمان بن السيد جعفر بن السيد عمر بن محمد بن السيد حسام، بن السيد شاه ناصر خسرو بن السيد جلال بخاري بن السيد أمير علي بن محمود المكي بن السيد محمد مهدي بن حسن العسكري بن الإمام تقي، بن السيد الإمام موسى رضا بن الإمام موسى كاظم بن السيد الإمام جعفر الصادق، بن الإمام محمد باقر بن السيد الإمام علي زين العابدين بن السيد الإمام حسين بن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم[4].

2-مولده ونشأته:

ولد جمال الدين الأفغاني في قرية أسعد أباد[5]،عام 1883م،[6] وانتقل بانتقال أبيه إلى مدينة "كابل" بناءا على أمر دوست محمد خان لأمور سياسية، وفي الثامنة من عمره أجلسه أبوه للتعليم وقد عنى بتربيته لما توسم فيه من الذكاء والنجابة،[7] ولقد تلقن دروسه الأولى تحت إشراف أبيه، فقرأ القرآن وحفظه في بضعة شهور، وكان منذ صباه مولعا بالمناقشة في المسائل الدينية ومحاولة تفسيرها، ولما أحس والده بميل جمال الدين إلى العلم أخذه إلى قزوين وهو في سن العاشرة آنذاك[8].

---

[1]- محمد باشا المخزومي، خاطرات جمال الدين الحسيني الأفغاني: آراء وأفكار، تق: سيد هادي خسرو شاهي، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2002م، ص32.

[2]- محمد عمارة، شخصيات لها تاريخ، ط1، دار السلام، الإسكندرية، 2008م، ص171.

[3]- محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ محمد عبدة، ج1، ط2، دار الفضيلة، القاهرة، 2006م، ص52.

[4]- فضل معبود، السيد جمال الدين الأفغاني وخدمته الدينية والأدبية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة بشاور، 1980م، ص26.

[5]- قرية أسعد أباد هي احدى القرى التابعة لخصالة كنز، من كنيل عاصمة أفغانستان، أنظر فضل معبود، المرجع السابق، ص31.

[6]- جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، العروة الوثقى، تق: سيد هادي خسرو شاهي، ط2، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية طهران، 1331هـ، ص17.

[7]- جمال الدين الأفغاني، القضاء والقدر وأصول العقائد الإسلامية وأصول المسائل التوحيدية، د.ط، المطبعة المحمودية التجارية، مصر، د.ت، ص3.

[8]- ميرزا لطف الله خان الأسد بادي، حقيقة جمال الدين الأفغاني، تر: عبد النعيم حسني، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، 1986م، ص42.

وتلقى علوما جمة برع في جميعها فمنها: العلوم العربية كالنحو والصرف والبيان وكتابة التاريخ عام وخاص، وكذلك علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وأصول فقه وكلام وتصوف، ومنها علوم عقلية كالمنطق والحكمة السياسية والمنزلية والتهذيبية، وكذلك الحكمة النظرية الطبيعية والإلهية، وكذلك علوم الرياضيات كالحساب والهندسة والجبر، وهيئة الأفلاك وكذلك الطب والتشريح، ولقد تلقى جميع هذه العلوم على أيدي أساتذة ماهرين، واستكمل دروسه في الثامنة عشر من عمره[1].

ثم سافر جمال الدين عام 1849م إلى النجف بالعراق، وقد درس بها خمس سنوات وتعلم فيها العديد من العلوم ثم عاد لزيارة أسرته في أسعد أباد عام 1854، وهو عازم على زيارة الهند ليتعلم فيها الرياضيات الحديثة والعلوم الأوروبية[2].

لقد تعلم جمال الدين في بلاد الفرس والعرب، وتعلم اللغة الفرنسية وهو كبير وأتى بمن يعلمه الحروف الهجائية، كنه انفرد بتعليم نفسه حوالي ثلاثة أشهر بحفظ مفرداتها،[3] لقد تمكن الأفغاني في جميع لغات العالم، وكان يفهم 22 لغة تقريبا، وكان السحر البياني معجون البلاغة والفصاحة في كلامه،[4] لقد تنقل جمال الدين بين العديد من البلدان كمصر وباريس،[5] ولا شك أن ولع الأفغان بالتنقل والسفر، قد ساهم في نضوجه قبل الأوان، وكان له دور فعال في اتساع أفقه وتسامحه الفكري، وبعد عودته من الهند اتجه جمال الدين إلى مكة لأداء فريضة الحج، وكذلك للاطلاع على أحوال الجزيرة العربية وشعوبها، واستغرقت منه هذه الرحلة تقريبا عاما كاملا، ولقد تدارس مع المسلمين في الحج مشاكل العالم الإسلامي، هذا ما شجعه على استكمال رحلاته، لكي يقترب أكثر من مشاكل العالم الإسلامي،[6] وتقلد جمال الدين مناصب عديدة في أفغانستان بعد عودته من الحج، وولي منصب الوزير الأول للأمير محمد أعظم، وكان هذا الأخير لا يعمل شيئا إلا بمشورة الأفغاني[7].

3-جمال الدين في مصر:

لقد شهد جمال الدين الأفغاني في بلاده منازعات سياسية على السلطة ولمس تدخل الدول في شؤونها الداخلية، هذا ما علمه دهاء السياسة وألاعيبها وخصومتها،[8] فاضطر إلى الرحيل دون أن يكون له غرض، فمر أولا بالهند التي كانت تغلي بالثورة ضد الاستعمار الإنجليزي، وبسبب الحصار الذي فرض عليه من طرف الحكومة، استبعد من الهند، وتوجه إلى مصر مع بداية عام 1870م، ومكث فيها أربعين يوما، ثم غادر إلى الأستانة، بدعوة من السلطان عبد العزيز،[9] وعين عضوا في مجلس المعارف لكن بسبب مشكلة حادة بين الجماعات السلفية، أبعد الأفغاني من تركيا، بأمر من السلطان عبد العزيز نفسه، وبهذا عاد الأفغاني إلى مصر مرة ثانية[10]، وصل جمال الدين إلى مصر يوم 23 مارس 1871م، والتقى

---

[1]- محمد باشا المخزومي، نفس المرجع السابق، ص33.
[2]- محمد عمارة، المرجع السابق، ص177،176.
[3]- أحمد امين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص62،64.
[4]- محمد امان صافي، تأثير فكر الأفغاني في فلسفة إقبال، ط1، الفارق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 1995م، ص17.
[5]- ياسين بوعلي، حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة، ط1، دار الطليعة الجديدة، دمشق، 1998م، ص23.
[6]- عبد اللطيف محمد العبد، قضايا من الفكر الإسلامي الحديث، ط1، دار الهاني، القاهرة، 2005م، ص116.
[7]- ميرزا لطف الله خان الأسد بادي، المصدر السابق، ص49.
[8]- أحمد امين، المرجع السابق، ص62.
[9]- السلطان عبد العزيز، ولد سنة 1245هـ وتوفي سنة1293هـ اعتلى العرش سنة 1277هـ الموافق لسنة 1861م، وتم خلعه عام 1293هـ انظر ابراهيم بك حليم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988م، ص 218،220،221.
[10]- عبد اللطيف محمد العبد، المرجع السابق، ص 117،118.

برياض باشا رئيس الوزراء في عهد الخديوي إسماعيل، ولقي منه ترحيبا كبيرا[1]، ولقد ساءت أحوال مصر المالية، بسبب ديون إسماعيل، ونكبت مصر أكثر بتدخل الدول الأجنبية، التي أنشأت فيها نظام المراقبة الثنائية على الأموال المصرية، ثم أنشأ في البلاد نظام الوزارات المختلطة وبهذا أصبح في الوزارة وزيران أحدهما انجليزي والأخر مصري[2].

لقد ساعد رياض باشا الأفغاني على الإقامة في مصر وخصص له راتبا شهريا، حيث بدأ في الاتصال بطلاب الأزهر الذين عرفوه في زيارته الأولى إلى مصر، لكنه لم يقم بالتدريس في الأزهر، وكانت مدرسته الأولى في بيته، وبالرغم من هذا لقد انتشر صيته وعظم أمره في نفوس طلاب العلم[3].

التف حول جمال الدين الكثير من الطلاب الذين لعبوا دورا هاما في مستقبل مصر السياسي، منهم: محمود سامي البارودي، وسعد زغلول، ومحمد عبده، وعلى مظهر، وسليم نقاش، وأديب إسحاق[4].

ولقد قرأ جمال الدين على هؤلاء العديد من الكتب في المنطق والفلسفة والتصوف مثل كتاب الزوراء للدواني في التصوف، وشرح القطب على الشمسية في المنطق، والهداية، والإشارات، وحكمة العين، وحكمة الإشراق في الفلسفة، وكانت طريقته في التدريس بتحديد الموضوع أولا من الكتاب ثم يقوم بالشرح من عنده حتى يحيط بالموضوع من جسم أطرافه، وبعد ذلك يقرأ نص الكتاب[5].

كما قام بتعليم طلابه أمور كثيرة، كخطر التدخل الأوروبي، والحاجة إلى الوحدة الوطنية لمقاومته، والسعي إلى وحدة الوطنية لمقاومته، والسعي إلى وحدة أوسع للشعوب الإسلامية والمطالبة بدستور يحد من سلطة الحكام[6].

كما وجه عنايته على توجيه عقول تلامذته على العمل في الكتابة وإنشاء الفصول الأدبية والحكمية والدينية، ، مما ساعد هذا على تقدم فن الكتابة في مصر بفضله[7]، وبهذا حمل السيد جمال الدين لواء الإصلاح في مصر وهو إصلاح ذو شعبتين أحدهما سياسي والأخر ثقافي، كما أوحي الأفغاني في أثناء إقامته في مصر إلى الكثير من المصريين والسوريين بإنشاء الصحف والتي منها:

1- صحفية مصر لصاحبها السيد أديب إسحاق.
2- صحيفة التجارة لسليم النقاش وأديب إسحاق
3- جريدة أبو نظارة، ليعقوب بن صنوع.[8]

وكان الأفغاني يكتب في هذه الصحف كما كان يملي على تلاميذه مقالات ينشروها بأسمائهم، حتى نشأت من حوله كوكبة من الكتاب الشباب جددت أساليب العربية في الإنشاء، وخلصتها من السجع والمحسنات البديعية، وأدخلت فن المقال تطوير الفن الرسالة[1].

---

[1]- محمد دياب، أبطال الكفاح الإسلامي، ط1، سلسلة عن الشعب، القاهرة، 1978م، ص56.
[2]- عبد اللطيف حمزة، الصحافة العربية في مصر، ط2، دار الفكر العربي، الإسكندرية، 1985م، ص60.
[3]- علي شلش، جمال الدين الأفغاني بين دراسية، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1987م، ص11.
[4]-أسامة عبد الله محمد النمين، السيد جمال الدين الأفغاني حكيم الشرق في العصر الحديث (1254-1314هـ/1839-1897م)، دوريتان التاريخية، ع 17، سبتمبر، 2012م، ص39.
[5]- أحمد أمين، المرجع السابق، ص 67،68،69.
[6]- ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798م-1939م، تر: كريم عزقول، د: ط دار النهار للنشر، لبنان، د:ت، ص138.
[7]- علي شلش، المرجع السابق، ص11.
[8]- عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص60.

كما انضم الأفغاني إلى المحفل الماسوني الإسكندري بمصر، ولما وجد أعضائه لا يتدخلون في السياسة والأفغاني عمله كله متصل بالسياسة انتقل منه وأنشأ محفلا ماسونيا اخر،[2]كما أنشأ جمال الدين في مصر الحزب الوطني الحر الذي ضم تلامذته وأنصاره[3]، وأنشأ جمعية مصر الفتاة السرية، وأنشأ صحيفة تنطق باسمها وهي صحيفة تنطق باسمها وهي صحيفة مصر الفتاة[4].

وأول اثر لجمال الدين في السياسة كان في الحركة التي اندلعت أواخر أيام الخديوي إسماعيل باشا التي انتهت بخلعه، وجلوس توفيق باشا على كرسي مصر والذي شكر الأفغاني لمساعيه، لكن هذا الأمر لم يطل فصدر الأمر بنفيه وأخرج إلى السويس ومنها ذهب إلى الهند ولم يدخل بعدها مصر، واشتعلت الثورة العرابية بعد نفيه من مصر واحتلها الإنجليز[5].

اقام جمال الدين بحيدر أباد بالهند، ثم انتقل إلى كلكتا وبعد انتهاء الثورة العرابية سمح له بالتنقل ، فاختار أوروبا، وبدأ بلندن التي أقام بها أيام قليلة فقط، وبعدها انتقل إلى باريس[6].

لقد أقام الأفغاني في مصر قرابة عشر سنوات أدى فيها خدمات جليلة لمصر والمصريين، ولقد أعجب الشيخ محمد عبده بشخصية جمال الدين الأفغاني، فلازمه كالظل، ودرس على يده وسافر معه إلى أوروبا[7]، وكانت معركة الأفغاني ضد الاستعمار، وخاصة الإنجليزي لأنه الخطر الرئيسي الذي يهدد الشرق العربي والإسلامي في ذلك الوقت[8]، لهذا ففترة إقامة الأفغاني في مصر كانت من أخصب فترات في حياته الفكرية والنضالية، وفيها تبلور تياره ومذهبه في اليقظة والتجديد[9].

4-جهودة الفكرية:

لقد كان جمال الدين يعتمد على الالتقاء المباشر بسامعيه، فيأخذ بعقولهم ويؤثر فيهم بأسلوبه ويعتمد على العاطفة الدينية، لهذا لا نجد له مؤلفات كثيرة سوى مؤلفين اثنين ، أولهما رسالته الشهيرة التي كانت موضوعة تحت عنوان " رسالة في ابطال مذهب الدهريين وبيان مفاسدهم واثبات أن الدين أساس المدنية والكفر فساد العمران" ويرجع سبب تأليف هذه الرسالة لخطاب تلقاه جمال الدين من أحد الهنود، ووعده الأفغاني بنشر رسالته وهذا ردا على ما انتشر ببلاد الهند[10]، النيتشرية[11].

---

[1]- محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، د.ط، دار الشروق، القاهرة، 1997م، ص292.
[2]- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج5، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1986م، ص454.
[3]- محمد عمارة، العرب والتحدي، د.ط، عالم المعرفة، الكويت، 1978م، ص177.
[4]- محمد محمد حسن، الإسلام والحضارة الغربية، د.ط، دار الفرقان، د.م، د.ت، ص63.
[5]- شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ط4، دار الفكر، بيروت، 1973م، ص29.
[6]- علي شلش، المرجع السابق، ص12.
[7]- ميرزا لطف الله خان الأسد بادي، المصدر السابق، ص52-53.
[8]- محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني المفترى عليه، ط1، دار الشروق، 1984م، القاهرة، ص145.
[9]- محمد عمارة، العرب والتحدي المرجع السابق، المرجع السابق، ص176.
[10]- مجدي عبد الحافظ، جمال الدين واشكاليات العصر، د.ط، المجلس الأعلى للثقافة، د.م، 1998م، ص69.
[11]- النيتشرية نسبة إلى كلمة نيتشر الإنجليزية ومعناها الطبيعة، وطريقة النيتشر هي تلك الطريقة الدهرية التي ظهرت في اليونان في القرن الرابع قبل ميلاد المسيح، ومقصد أرباب هذه الطريقة محو الأديان ووضع أساس الاباحة والاشتراك في الأموال والإيضاع بين الناس عامة، انظر جمال الدين الافغاني، الرد على الدهريين، تقديم إمحمد عبده، تح: محمد حامد محمد، د.ط، مكتبة الشاملة، د.م، د.ت، ص3-4.

ولقد ألف جمال الدين هذه الرسالة باللغة الفارسية وقام الشيخ محمد عبده بنقلها إلى اللغة العربية بعنوان الرد على الدهريين[1]، ويعتبر هذا الكتاب المؤلف المنهجي الوحيد الذي خلفه جمال الدين[2]، ولقد بين فيه سوء النيتشريين ومضار طريقتهم ووضح بالأدلة على منفعة الأديان ولزومها لقيام النظام البشري خصوصا دين الإسلام[3]، ولقد رأى جمال الدين أن هذا المذهب خطرا على العقيدة الدينية وعلى الحضارة الإنسانية ويجب على المفكر المسلم التصدي له[4]، أما ثاني مؤلفاته هو كتاب تتمة البيان في تاريخ الأفغان وهي مجموعة مقالات نشرت بجريدة مصر، يكشف فيها الدور الاستعماري للسياسة الإنجليزية في الأقطار الإسلامية[5].

لقد ألف جمال الدين هذا الكتاب باللغة العربية، ويحث في الفصل الأول عن لفظ الأفغان، وفي الفصل الثاني يذكر نسب الأفغانيين وقبائلهم، أما في الفصل الثالث ذكر جمال الدين بداية الحكومة الأفغانية والحروب الداخلية والخارجية، وبالأخص الحروب التي دارت بين الإنجليز والأفغانيين، وفي الفصل الرابع تناول أخلاق الأفغانيين وعاداتهم ومذاهبهم ونظام حكمهم[6]، وفي خاتمة الكتاب تم ذكر أحوال البلاد الأفغانية إجمالا من الأبنية والمزارع والصناعات والمعاملات التجارية بين الأفغان والهند وإيران[7].

غير ان هذين المؤلفين فلجمال الدين العديد من المقالات المتنوعة في العديد من الجراند، كجريدة مصر ومرآة الشرق، والعروة الوثقى[8]، ويضاف إلى هذا الكتاب الذي أخرجه محمد المخزومي، وجمع فيه أراء وأفكار جمال الدين المتأخرة، حيث لازمه في أواخر أيامه، وجعل ذلك في كتاب بعنوان "[illegible] جمال الدين الأفغاني الحسيني" بناءا على رغبة الأفغاني نفسه[9].

فجمال الدين لم يكن ممن يهوى التأليف، أو ينكب على إخراج الكتب والأبحاث، بل كان رجل سياسة وحركة بين الجماهير، أكثر من رجل بحث ودراسة وهذا لا ينفي على معارفه الواسعة التي اكتسبها منذ نعومة أظافره ومن خلال تجواله في الشرق وأوروبا[10].

---

[1]- علي الحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب، 1798م، 1914م، الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية، ط1، دار الأهلية، بيروت، 1987م، ص78.

[2]- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1991م، ص48.

[3]- محمد عثمان الخشت، الإسلام والعلم بين الأفغاني ورينان، ط1، دار قباء، القاهرة، 1998م، ص35.

[4]- زاهد روسان، منهج الأفغاني العقلي في دفاعه عن الإسلام، ط1، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، ع1و2، 2008، ص6.

[5]- عبد اللطيف محمد العبد، المرجع السابق، ص119.

[6]- فضل معبود، المرجع السابق، ص50،52.

[7]- جمال الدين الأفغاني، جملة الأعمال المجهولة، تح: علي شلش، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، د.ت، ص21،22.

[8]- مجدي عبد الحافظ، المرجع السابق، ص72.

[9]- عبد اللطيف محمد العبد، المرجع السابق، ص120.

[10]- مجدي عبد الحافظ المرجع السابق، ص72.

5-مذهبه:

كان مسلما مجتهدا، يأخذ إسلامه من المصادر الأصلية للإسلام واختياره جعل السنة الاطار الذي مارس فيه هذا الاجتهاد[1] ، فمذهبه كان حنفي، وليس مقلدا[2]، ولقد أكد تلميذه محمد عبده على هذا "أما مذهب الرجل فحنفي حنفي، وهو إن لم يكن في عقيدته مقلدا، لكنه لم يفارق السنة الصحيحة مع ميل إلى مذهب السادة الصوفية"[3].

كما كان جمال الدين يدعو إلى التجديد في الدين وتطهيره من البدع وفهمه فهما صحيحا يتلاءم مع روح العصر، حتى إن دعوته الإصلاحية كانت تقوم على منطق الدين والعقل معا[4].

فبالرغم من أنه سني لكن علاقاته الشخصية والفكرية توثقت بعلماء الشيعة وفكرها، ومراكزها بالعراق، منذ شبابه، وعندما تبلورت دعوته إلى التجديد واليقظة، كان عقله قد وصل به إلى حيث أصبح فوق المذاهب التي فرقت المسلمين لأن سلفيته في الدين تسبق المذاهب وعقلانيته ترفض البقاء في أسر خلافاتها التي تجاوزها العصر، واستنارته تراها عقبة أمام ما يريد تحقيقه من نهضة ووحدة وانطلاق[5]، فالأفغاني قام بدور مصلح إسلامي أعظم لأنه تخطى التقليد إلى النقد، وأكمل الفكر وأعاد قراءة التراث وإنتاجه وصياغته، وأشاع جوا تنفس فيه وأفاد منه، وقدم في عصره رؤية جديدة تجاوزت عصره[6].

6-أخلاقه وصفاته:

لقد ذكرت معظم المصادر على أنه "حليم يسع حلمه ما شاء الله أن يسع، إلى أن يدنو أحد ليمس دينه، أو شرفه، فينقلب إلى غضب، تنقض منه الشهب، فبينما هو حليم أواب، إذا هو أسد وثاب"[7].

"كريم يبذل ما بيده قوي الاعتماد على الله لا يبالي ما تأتي به ظروف الدهر، عظيم الأمانة، سهل لمن لاينه، صعب على من خاشنه قليل الحرص على الدنيا، بعيد عن الغزو بزخارفها، ولوع بعظائم الأمور، معرض عن صغارها، ثابت الجأش، شجاع، مقدام لا يهاب الموت كأنه لا يعرفه، قد يساق إلى القتل، فيسير إليه سير الشجاع إلى الظفر، إلا أنه حديد المزاج، وكثيرا ما هدمت الحدة، ما رفعته الفطنة"[8]، كما أن السيد جمال الدين لم يتزوج، وكان يفضل أن يعيش عيشة متواضعة[9].

"كان ربعة في الطول، وسطا في بنيته، قميح اللون، عظيم الرأس في اعتدال، عريض الجبهة في تناسب، واسع العينين، عظيم الأحداق، ضخم الوجنات، رحب الصدر، جليل في النظر، هش بش عند اللقاء، و كانت مجالسه لا تخلو من الفوائد العلمية، كان بعيدا عن اللغو، منزها عن اللهو"[10].

---

[1]- محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني المفترى عليه المرجع السابق، ص145.
[2]- جمال الدين الأفغاني، المصدر السابق، ص4.
[3]- محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام المرجع السابق، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1988، ص38.
[4]- محمد أمان صافي، المرجع السابق، ص33.
[5]- محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي المرجع السابق، ص291.
[6]- نعيم اليافي، حركة الإصلاح الديني في عصر النهضة، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 2000م، ص33.
[7]- شكيب أرسلان، المصدر السابق، ص290.
[8]- محمد بثنا المخزومي، المصدر السابق، ص69.
[9]- ميرزا لطف الله خان الأسد بادي، المصدر السابق، ص41.
[10]- جمال الدين الأفغاني، المصدر السابق، ص4.

"فهو يمثل لناظره عربيا محضا، من أهالي الحرمين، فكأنما قد حفظت له صورة أبائه الأولين، وقد وفاه الله من كمال خلقه ما ينطبق على كمال خلقه، جذاب النظر، مع قصر فيه، فإذا قرأ أدنى الكتاب من عينه ولكنه لم يستعمل النظارات، خفيف العارضين، مسترسل الشعر، يتسرول جبة سوداء تنطبق على الكاحلين وعمامة صغيرة بيضاء"[1].

ولقد تميز الأفغاني بذكاء متوقد، وبصيرة نافذة، والقدرة على توليد الأفكار والمعاني من كل شيء يسمعه أو يراه، واستقصاء الأفكار[2].

إنه رجل ذا خلق قوي، غزير العلم موفور النشاط، لا يجد الوهن إليه سبيلا، جريئا مقداما، وكانت فصاحته لا تجارى وكان لطلعته هيبة النفوس وعظمة وجلال[3].

ولقد ضل الأفغاني مناضلا وداعيا للتجديد الفكري، واليقظة الإسلامية، والتصدي للاستعمار، حتى وافاه أجله فلقي ربه في يوم الثلاثاء 9 مارس من عام 1897م، ودفن في الأستانة، ثم نقل جثمانه بعد سنوات إلى بلاده أفغانستان[4]، ولقد كان موت هذا الإمام الثائر بمؤامرات أودت بحياته الحافلة[5].

---

[1]- محمد باشا المخزومي، المصدر السابق، ص289.
[2]- أحمد أمين، المرجع السابق، ص64.
[3]- هاني الرعشلي، العقل والدين: سلسلة نقد العقل التجديدي في الإسلام، ج3، د.ط المكتب العلمي، الاسكندرية، 2001م، ص111.
[4]- محمد عمارة، شخصيات لها تاريخ المرجع السابق، ص178.
[5]- صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، ط1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001م، ص41.

المبحث الثاني: دعوة الأفغاني الجامعة الإسلامية

1- فكرة الجامعة الإسلامية:

إن الدعوة للجامعة الإسلامية، قديمة بقدم الدعوة الإسلامية نفسها وتجددت في العالم الإسلامي كرد فعل إيجابي إثر تدهور الدولة العثمانية وكان جمال الدين الأفغاني من أشهر دعاة الجامعة الإسلامية في العصر الحديث[1]،لقد ارتبطت شخصية الأفغاني بحركة الجامعة الإسلامية التي دعا من خلالها إلى وحدة صفوف المسلمين شعوبا وحكومات، وعلى رأسها الدولة العثمانية، وهذا لمجابهة الزحف الاستعماري على ديار المسلمين وشحن هممهم لمباشرة الإصلاح الديني والاجتماعي، والتعاون الوثيق لتحرير بلادهم من السيطرة الأجنبية[2].

ويتحقق هذا إلا بجمع شمل المسلمين في كل أقطار العالم تحت لواء جامعة واحدة، وإقامة الحكم وفقا لمبادئ الإسلام في الشورى والعدالة على أن تكون زعامة الجامعة الإسلامية لأي مسلم صالح، دون اشتراط أن يكون عربيا، والعمل على تجديد الإسلام وتحريره من الجمود وتنقيته من الشوائب، واستعادة مجده السابق[3]، واستمر الأفغاني يدعو إلى اتحاد المسلمين وجمع كلمتهم، وأنه وجب عليهم أن يكتشفوا أسباب تقدم الغرب وتفوقه، والأخذ بهذه الأسباب، حتى يتمكنوا من الدفاع على أنفسهم وحماية بلادهم من خطر الاستعمار، ولا يتحقق هذا إلا بالنهوض بالشعوب[4].

كما أمن الأفغاني بأن المبادئ الأساسية المتوافقة مع العلوم و التطور الحديث، و الفكر الإسلامي عليه أن يوظف الحداثة عمليا لكي يحي الإسلام [5]، فلقد كانت دعوة الأفغاني إلى بناء النهضة أولا على الأصول الصالحة من تراثنا الحضاري ، و ثانيا الأخذ ما هو ضروري و مناسب و مفيد من انجازات الآخرين .[6]

---

[1]- حسين جلال، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004م، ص77

[2]- غربي العالي، المرجع السابق، ص237.

[3]- جمال عبد الهادي محمد مسعود، وعلي لبن، المجتمع الإسلامي المعاصر، المدخل، د.ط، دار الوفاء، المنصورة، 1994م، ص54.

[4]- عبد الرحيم عبد الرحمن، المرجع السابق، ص105.

[5]- أحمد الموصلي، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، ط1، د.ن، بيروت، 2004م، ص167.

[6]- محمد عمارة، الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1997م، ص27.

وكانت فكرة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها الأفغاني تقوم على دعامتين أساسيتين هما:

أولا : الحج إلى المسجد الحرام في مكة المكرمة ، حيث الكعبة الشريفة و سائر البقاع المقدسة في الحجاز لكون فريضة الحج ركن من أركان الإسلام و كذلك هو تربية دينية توصل العقيدة الدينية في النفوس [1].

ثانيا :ضرورة التمسك بالخلافة كنظام ديني و سياسي ، وكان الالتفاف حول الخلافة هو المظهر العلمي للوحدة التي تقوم عليها دعوة الأفغاني[2].

وكانت دعوة جمال الدين الأفغاني لبناء الجامعة الإسلامية تستهدف العالم الإسلامي كله و يقول في هذا : " إن لأبناء الأمة الإسلامية يقينا بما جاء به شرعهم، ولكن أليس على صاحب اليقين بدين أن يقوم بما فرضه الله عليه بذلك الدين ؟ أنرضى و نحن المؤمنون و قد كانت لنا الكلمة العليا أن تضرب علينا المسكنة ، وأن نستبد في ديارنا و أموالنا من لا يذهب مذهبنا ، و لا يرد مشربنا و لا يخدم شريعتنا ....."[3].

وكان الأفغاني يرى انه لابد من القيام بالثورة لكي تحقق البلاد الإسلامية هدفها و المتمثل في التحرر من السيادة الأجنبية ثم تنطلق إلى النهضة الفكرية و الروحية ، و بعدها الاتحاد في ضل خلافة واحدة ، تجمع كلها على الاعتراف به كما كان في العصر الذهبي للإسلام [4].

لقد كان جمال الدين الأفغاني يسعى إلى تأسيس حكم جمهوري دستوري نيابي على النمط الأوروبي ، حيث لم يكن يعجبه الحكم الملكي المقيد الملتزم بدساتير[5]، والأمة هي مصدر السلطة السياسية و هي الحاكمة في الدولة ، فهي تبايع الحكم و تتوجه إن كان ملكا على شرط الدستور و القانون ، فإن كان وفيا كانت له حقوق الطاعة و هذه هي السلطة السياسية في الدولة و المجتمع كما يراها الإسلام[6] .

ولقد جاءت دعوة الأفغاني للجامعة الإسلامية في وقت مناسب ، إذ كان عدد من أقاليم العالم الإسلامي يموج بحركات بعث وإحياء دينية كرد فعل على النشاط الاستعماري المكثف و من بين تلك الحركات الدينية الحركة السلفية في شبه الجزيرة العربية ،و الحركة السنوسية في شمال إفريقيا و المهدية

---

[1]-محمد عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها، ج3، ص63.
[2]- محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص63.
[3]- محمد المنوني وآخرون، تجديد الفكر الإسلامي، ط1، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، بيروت، 1989م، ص121.
[4]- جورج أنطونيوس، المرجع السابق، ص136.
[5]- مصطفى فوزي بن عبد اللطيف غزال، دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، ط1، دار طيبة، الرياض، 1983م، ص109،110.
[6]- محمد عمارة ، الطريق إلى اليقظة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1990م، ص208،209.

في السودان ، وكان هدف هذه الحركات البعد عن كل ما هو أوروبي مسيحي و تخليص الإسلام من الشوائب التي علقت به و الرجوع به إلى أصوله الأولى في صدر الإسلام[1].

2 مبادئ الجامعة الإسلامية:

تقوم دعوة الأفغانية إلى الجامعة الإسلامية على المبادئ التالية:

1/ اعتبار الوازع الديني عند المسلمين الأساس في معركتهم ضد الاستعمار الغربي ، و يرى الأفغاني أن العالم المسيحي على اختلاف أجناسه و قومياته يجابه الشرق و المسلمين ، وأن الروح الصليبية مازالت قائمة و هي تحرك أوروبا في علاقاتها مع العالم الإسلامي و هي التي دفعتها إلى إخضاع معظم الشعوب الإسلامية ، وفي هذا جاء المقال في جريدة العروة الوثقى بعنوان : الجنسية و الديانة الإسلامية:[2]

" وازع المسلمين في الحقيقة شريعتهم المقدسة الإلهية التي تميز بين جنس وجنس و اجتماع أراء الأمة ، و ليس للوازع ادني امتياز عنهم إلا بكونهم أحرصهم على الشريعة و الدفاع عنهم ....."[3]

2 / كانت دعوة الأفغاني تركز على الوحدة الإسلامية باعتبارها ضرورة تقضي بها الطبيعة و العادة و يؤيدها العقل و النقل و تقرها شواهد التاريخ و العوامل الاجتماعية و الألفة بين الأمم و الشعوب[4]،والوحدة الإسلامية في رأي الأفغاني هي الطريقة الوحيدة لمقاومة الغزو الأوروبي ، لأن الدول الغربية تقيم تحالفات لاقتسام أوطان المسلمين و تدمير عقيدتهم ، و هذا ما يستدعي تحالف دفاعي بين المسلمين من اجل تحقيق استقلالهم و حماية أنفسهم[5].

إن الوحدة الإسلامية في رأي جمال الدين الأفغاني أمر ممكن إذا انطوت تحت لوائها جميع القوميات التي تدين بالإسلام[6]، على اختلاف أوطانها وجنسياتها تحت حكم خليفة واحد تجمع في يديه السلطتين الدينية والزمنية، وبهذا يعود للمسلمين ما كان لهم من قوة ومنعة زمن الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين والعباسيين لكن بشرط أن يتبنى الخليفة حكما يأخذ بأسباب الحضارة الغربية التي لا تتعارض مع الدين الإسلامي، وفي هذا قال الأفغاني في جريدة العروة الوثقى: "واعتصموا بحبل الرابطة الدينية التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها العربي بالتركي، والفارسي بالهندي، والمصري بالمغربي..." [7].

---

[1]- محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص53،54.
[2]- علي الحافظة، المرجع السابق، ص111،112.
[3]-جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، المصدر السابق، ص72.
[4]- رافت الشيخ، تاريخ العرب الحديث، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دط، مطابع زمزم، باب الأوق، 2005م، ص242.
[5]- علي الحافظة، المرجع السابق، ص112.
[6]- هادي حسن عليوي، الاتجاهات الوحدوية في الفكر القومي العربي والشرقي 1918م-1956م، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000م، ص23.
[7]- رافت الشيخ، المرجع السابق، ص232.

ولم ير الأفغاني في الوحدة الإسلامية خضوع المسلمين جميعا لملك واحد أو أمير واحد وإنما أراد للدول الإسلامية أن تأخذ القران دستورا لها، وأن تلتزم بالشورى والعدل، وذكر هذا في مقال الوحدة الإسلامية[1]. "لا ألتمس بقولي هذا أن يكون مالك الأمر في الجميع شخصا واحد، فإن هذا ربما يكون عسيرا ولكني أرجو أن يكون سلطان جميعهم القران، ووجهة وحدتهم الدين، وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخرين ما استطاع، فإن حياته بحياتهم وبقاءه ببقائهم"[2].

3/ بعث الهمة في نفوس المسلمين لدفعهم إلى مقاومة الاحتلال الأجنبي، والثورة على الاضطهاد، وذلك بإعادة الثقة إلى نفوسهم أولا بعد أن أصابها الضعف والتخاذل، ويقول الأفغاني "قد فسدت أخلاق المسلمين إلى حد أن لا أمل بأن يصلحوا إلا بأن ينشئوا خلقا جديدا وجيلا مستأنفا..."[3]

ولقد أدرك جمال الدين الأفغاني بصادق فطنته ما أصاب مجتمعه من عفونة وفساد، فاعتقد أنه بدلا من أن ينصرف إلى دراسة العوامل الداخلية التي أدت إلى هذا الوضع يستطيع أن يقضي عليه بالقضاء على ما يحيط به من نظم وشوائب[4].

4/ إدخال الإصلاحات إلى الدول الإسلامية في جميع الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، واتخاذ وسائل الثورة السياسية لتحقيق غاياته، لأنها أسرع الطرق للوصول إلى ما يبتغيه من تحرير الشعوب الإسلامية من ويلات المستعمرين[5]، كما دعي الأفغاني إلى تحسين أوضاع المسلمين مما كانوا يعانون من جمود فكري وتخلف حضاري، وجهالة، وبعد عن التعاليم الإسلامية الحقة[6].

ويكون هذا بالأخذ عن الشعوب الأوروبية التي تأخذ بأسباب العلم الحديث وكذلك بإظهار مرونة الإسلام على أنه دين كل زمان ومكان، وأنه لا يتعارض مع التقدم العلمي الحديث بل يؤكد عليه[7]

---

[1]- علي الحافظة، المرجع السابق، ص112.
[2]- جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، المصدر السابق، ص136،137.
[3]- علي الحافظة، المرجع السابق، ص113.
[4]- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصابور شاهين، ط1، دار الفكر، دمشق، 2002م، ص51،52.
[5]- علي الحافظة، المرجع السابق، ص114.
[6]- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص499.
[7]- رافت الشيخ، المرجع السابق، ص241.

المبحث الثالث: جريدة العروة الوثقى

1-إصدار جريدة العروة الوثقى:

مما ساعد على نشر حركة الجامعة الإسلامية في العالم الإسلامي، صدور جريدة عربية في باريس تدعو لهذه الحركة[1]، لقد سمح لجمال الدين الأفغاني بعد أن أخفقت الثورة العرابية في مصر، واحتلالها من طرف الإنجليز عام 1882م، أن يرحل لأي بلد يختاره، فاختار الأفغاني أوروبا واستقر به المقام في فرنسا، وهناك التقى تلميذه محمد عبده الذي كان منفيا في بيروت ثم ذهب إلى فرنسا لينضم إلى شيخه وأستاذه، ويواصلا الجهاد ضد المستعمرين[2]، وهناك أصدرا جريدة العروة الوثقى بتمويل مالي من جمعية إسلامية تحمل نفس الاسم: العروة الوثقى، تكونت لدعوة الأمة الإسلامية إلى الاتحاد والتضامن ومقاومة الاستعمار الأوروبي، وتعريف المسلمين بالأخطار المحدقة بهم وإرشادهم إلى وسائل التغلب عليها، وكانت تضم جماعة من أقطاب العالم الإسلامي في الهند ومصر والشام وشمالي إفريقيا[3].

لقد أنشأ جمال الدين جريدة العروة الوثقى بالتعاون مع الشيخ محمد عبده، على أساس أن الأفغاني مدير سياسة الجريدة، ومحمد عبده محررها الأول[4]، فلقد كانت الأفكار والمعاني للسيد جمال الدين، ومحمد عبده التحرير والصياغة، وكان عمل محمد عبده في المجلة بتكليف من أستاذه جمال الدين[5].

صدر العدد الأول من جريدة العروة الوثقى في جمادى الأولى سنة 1241هـ الموافق لشهر مارس 1884م، وقد صدر منها ثمانية عشر عددا في ثمانية أشهر وكان آخر عدد صدر منها في 26 من ذي الحجة سنة 1241هـ الموافق لـ 18 أكتوبر سنة 1841م[6].

وتعتبر جريدة العروة الوثقى الجريدة الوحيدة التي كانت تعبر عن الثوار الوطني في تلك الفترة، وقد تم إنشاؤها في باريس بعيدا عن الرقابة الإنجليزية، ومع ذلك فقد حالت هذه السلطات دون وصول الصحيفة إلى الديار المصرية، فلم تكن تصل إلى المصريين إلا بالطرق السرية[7].

وتوقفت جريدة العروة الوثقى من الصدور بحجة المنع الذي فرضه الإنجليز عليها في مصر، وفي الهند وعلى الأرجح أن توقفها كان للأسباب التمويلية[8].

---

[1]- محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص64.
[2]- أبو اليزيد العجمي، القيم الدينية في مشروع النهضة عند جمال الدين الأفغاني 1838م-1897م، دط، دد، دم، دس، ص 16.
[3]- محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص64.
[4]- مجموعة مؤلفين، أضواء على التعصب من أديب إسحاق والأفغاني إلى نصيف نصار، ط1، دار أمواج، بيروت، 1993م، ص25.
[5]- محمد عبده، الأعمال الكاملة، تح: محمد عمارة، ط1، دار الشروق، بيروت، 1994م، ص240.
[6]- محمود أبو رية، جمال الدين الأفغاني 1838م-1898م، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1981م، ص43.
[7]- عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص97.
[8]- مجموعة مؤلفين، المرجع السابق، ص26.

كانت جريدة العروة الوثقى ترسل إلى البلدان الإسلامية مجانا وقد كتب في الصفحة الأولى من كل عدد: ترسل الجريدة إلى جميع الجهات الشرقية مجانا، وكانت لغة الجريدة هي اللغة العربية، وبالرغم من أعدادها القليلة وفترة حياتها القصيرة فقد احتلت العروة الوثقى في تاريخ الحركة والصحافة الإسلامية الحديثة مكانة مرموقة لم تصل إليها أي جريدة حتى الآن فقد كانت الصحيفة الإسلامية الوحيدة التي حققت لنفسها عالمية الانتشار إذ كانت توزع في مختلف أنحاء العالم من مصر والشام والعراق وإيران والجزيرة العربية وأفغانستان والهند، وبفضل انتشارها الواسع استطاعت أن تحقق العروة الوثقى رسائلها الإيقاضية إلى مختلف الشعوب الإسلامية[1].

2-أهداف العروة الوثقى:

وقد لخصت العروة الوثقى أهدافها في العدد الأول منها وحصرتها في:

1- تضع الجمعية نفسها في خدمة الشرقيين عامة فتبين لهم الواجبات التي يجب عليهم القيام بها والتي كان التفريط فيها سببا في تدهورهم وتوضح الطرق التي يجب إتباعها لتدارك الأخطاء في المستقبل.

2- كما ستبحث معهم في الأسباب والعلل التي أدت إلى ضعفهم وفي طليعتها تفريطهم في تعاليم دينهم[2].

3- إيقاظ الشعوب الشرقية عموما والمسلمين خصوصا، والدفاع عن حقوقهم والتنبيه إلى خطط المستعمرين وتدخلاتهم في البلاد الإسلامية والدعوة إلى المقاومة[3].

4- حرب الاستعمار بكل وسيلة مستطاعه ومن تلك الوسائل تحريض المحكومين على حكوماتهم الأجنبية، وإزالة أسباب الخلاف بين الدول الإسلامية، لسد الثغرات التي يتسلل منها المستعمرين بين هذه الدول[4].

5- إشراب النفوس عقيدة الأمل في النجاح وإزالة ما حل بها من اليأس ودعوتهم إلى التمسك بالأصول التي كان عليها آباؤهم وأسلافهم[5].

6- كشف الغطاء عن الشبه التي شغلت أوهام الشرقيين، وإزاحة الوساوس التي سيطرت على عقول المتعلمين، الذي أدى إلى اليأس من الإصلاح والقنوط من تلاشي الأخطار الماضية، كما ستبدي اهتماما خاصا بالرد على التهم التي توجه إلى الشرقيين عامة والمسلمين بصفة خاصة، وستعنى

---

[1]- جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، المصدر السابق، ص25،26،27.

[2]- جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، العروة الوثقى والثورة التحريرية، تح: صلاح الدين البستاني، ط2، دار العرب، القاهرة، 1993م، ص54.

[3]- جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، العروة الوثقى ، تح: سيد هادي، خسرو شاهي، ص28.

[4]- عباس محمود العقاد، عبقري الإصلاح والتعليم محمد عبده، ط2، المؤسسة المصرية العامة، د.م، د.ت، ص134،135.

[5]- محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص65.

بتنفيذ مفتريات الغرب التي يزعم قائلوها بأن المسلمين لن ينهضوا أبدا ما داموا متمسكين بأصول دينهم[1].

7- تقوية الصلات بين الأمم الإسلامية وتمكين الألفة بين أفرادها وتأمين المنافع المشتركة بينها، ومناصرة السياسة الخارجية التي لا تميل إلى الحيف والإجحاف بحقوق الشرقيين[2].

8- تولت كذلك الجريدة إطلاع الشرقيين على الأحداث العامة وأسرارها ليحيطوا علما بما يدبره السياسيون الأوروبيون وما يبيتونه لهم، وكذلك لإعلامهم بالعالم الذي يعيشونه، حتى لا يقعوا في شراك الدعايات المغرضة[3].

وفي هذا تناولت الجريدة في مقالاتها العديد من الموضوعات مثل: الجامعة الإسلامية، والرابطة الشرقية، والمسألة المصرية والسودانية، وطالبت بتحرير مصر والسودان من الاحتلال البريطاني، كما تعرضت للمسألة الهندية وعالجت هذه الموضوعات بحماسة محاولة تحريك الشعوب وإثارتها[4].

3-توقف إصدار العروة الوثقى:

تنهرت جريدة العروة الوثقى في فترة حساسة كان الاستعمار فيها في ذروة كبريائه وعنفوانه ونظرا لتأثيرها العميق الواسع على عقول المسلمين ومواقفها الإسلامية الصارمة ضد الاستعمار البريطاني فقد حاول الإنجليز منذ البداية دفع هذا الخطر الكبير[5]، فلقد ضاق الإنجليز بها ذرعا فضيقوا الخناق عليها وسدوا جميع النوافذ في وجهها[6].

لقد أدراك الإنجليز خطورة جريدة العروة الوثقى على نفوذها وسياستها في البلاد الشرقية، وأشار بعض محرري الجرائد الإنجليزية على حكومتهم أن تمنع دخولها إلى الهند ومصر وغيرها[7]، إلا أنه لم يستطع منع طبعها في باريس ولم يجد الإنجليز طريقة أخرى سوى تعقب قراءها واضطهادهم ومنع دخولها البلاد الإسلامية، فأصدرت الحكومة البريطانية الهندية قانونا يعاقب بموجبه من يحوز عددا من العروة الوثقى بالحبس لمدة سنتين وبغرامة مقدارها100 جنيه، وكذلك ألزم الانجليز مجلس الوزراء المصري بإصدار قرار يمنع جريدة العروة الوثقى من دخولها إلى مصر، وهذا ما أدى إلى خوف قراء العروة الوثقى حيث امتنع كثير من استلام أعداد

---

[1] جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، العروة الوثقى والثورة التحريرية، ص54،55.
[2] محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص65.
[3]- جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، المصدر السابق، ص55.
[4]- محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص35.
[5]- جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، العروة الوثقى، تح: سيد هادي خسرو شاهي، ص31،32.
[6]- محمود أبورية، جمال الدين الأفغاني تاريخه ورسائله ومبادئه، د.ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1966م، ص112.
[7]- محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص65.

الجريدة[1]، وبهذا توقفت الجريدة بعد أن صدر منها ثمانية عشر عددا في ثمانية أشهر، وكان آخر عدد منها في أكتوبر من سنة 1884م[2]

[1]- جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، المصدر السابق، ص32.
[2]- محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص65.

الفصل الثاني:

السلطان عبد الحميد الثاني والجامعة الإسلامية.

المبحث الأول: شخصية السلطان عبد الحميد الثاني وأهم أعماله.

المبحث الثاني: السلطان عبد الحميد واحتضان لحركة الجامعة الإسلامية.

المبحث الثالث: وسائل عبد الحميد لدعم حركة الجامعة الإسلامية.

كان وضع العالم الإسلامي سيئا قبيل نهاية الحكم العثماني، وهذا نتيجة لاقتسام جزء كبير منه من طرف الاستعمار الغربي، حتى أطلق على الدولة العثمانية اسم الرجل المريض، وهذا نتيجة للأزمات التي تحيط بها من الداخل والخارج، وعدم قدرتها عن الدفاع عن نفسها وعن أجزاء إيالاتها الإسلامية، فقد احتلت فرنسا الجزائر وتونس ومصر كانت تسيطر عليها بريطانيا وكذلك على كل من الهند والسودان، وامتد نفوذها إلى أكثر حتى على أطراف الجزيرة العربية، كما سيطرت هولندا على إندونيسيا وبهذا كانت أجزاء الدولة العثمانية تتساقط يوما بعد يوم، كما زادت أطماع الاستعمار الغربي إلى محاولة اقتسام الرقعة الباقية من العالم الإسلامي، وفي الوقت الذي كانت الدولة العثمانية تموج بأخطار تقسيم دولتها، ظهرت دعوة جمال الدين الأفغاني لحركة الجامعة الإسلامية، في حين كان السلطان عبد الحميد الثاني في أحج الماسة إلى تجميع كلمة المسلمين تحت لوائه، وقد مهد الأفغاني له الأرضية أما هو ما كان عليه إلا احتضان الفكرة، والبدء بالعمل على تدعيم أواصر الأخوة الإسلامية بين كل مسلمي العالم.

المبحث الأول: شخصية السلطان عبد الحميد الثاني وأهم أعماله:

1-مولده ونشأته:

ولد السلطان عبد الحميد الثاني يوم الأربعاء في 16 شعبان 1258هـ الموافق لـ 21 سبتمبر 1842م، في قصر دولمة باغجه الواقع على شاطئ البوسفور الأوروبي، وهو السلطان العثماني الرابع والثلاثون[1]، وهو ابن السلطان عبد المجيد[2]، من زوجته الثانية، اسم أمه تيري موجكان وكان عمرها تسعة عشر لما ولدته، وكان نموه أسرع، حيث لم تتوقف أمه يوما عن تغذيته روحيا وأخلاقيا، وما إن بلغ الرابعة من عمره حتى أصبح شخصا مستقلا يسأل أسئلة غريبة دلت على ذكائه وفطنته[3].

توفيت والدته وهو لم يتجاوز بعد السنة السابعة من عمره، فأوكل أمر تربيته إلى إحدى المربيات في قصر أبيه[4]، وكانت امرأة صالحة ذات دين وعفاف فأثرت على نفسيته وشخصيته، درس على يد أشهر الأستذة الموجودين في استانبول مختلف الدراسات الدينية واللغوية والأدبية[5]، حيث في الثامنة من عمره عين له معلم يعلمه القراءة والكتابة واللغة العربية وبعض القواعد الفارسية، وحفظ القرآن المجيد، والعديد من أحاديث الرسول - ص- وقطعا من الشعر القديم، حيث أبدى براعة بكل هذا كتابة وقراءة وحفظا ومما يذكر أيضا عن السلطان عبد الحميد أنه كان يجيد العديد من اللغات منها الفارسية والفرنسية والألمانية والإنجليزية وحتى اللغة الروسية[6].

كما تدرب عبد الحميد على استخدام الأسلحة وكان يتقن استخدام السيف، وإصابة الهدف بالمسدس، كما كان مهتما بالسياسة العالمية ويتابع أخبار بلاده بعناية فائقة ودقة نادرة، بالإضافة إلى هذا فقد كان السلطان عبد الحميد محافظا على الرياضة البدنية[7]

كما كان مولعا بالموسيقى الغربية أكثر من الموسيقى الشرقية، وكان شغوفا بقراءة التاريخ، كما كان للسلطان عبد الحميد شعر وهذه ترجمة لنص شعري له بعدما أن تفاقمت المؤامرة حوله داخل قصره:

---

[1]- محمد علي أور خان، السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده، ط1، مكتبة الأنبار، العراق، 1987م، ص83.

[2]- هو السلطان عبد المجيد ابن السلطان محمود خان الثاني ولد سنة 1237هـ وجلس على العرش عام 1255هـ، وعمره 18 سنة، توفي سنة 1277هـ عن عمر يناهز الأربعين سنة قضى منها 22 عاما على العرش، أنظر حضرة عزتلو يوسف بك أصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م، ص120،121.

[3]- محمد مصطفى الهلالي، المرجع السابق، ص21.

[4]- موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، د.ط، مؤسسة صقر الخليج، الكويت، 1984م، ص53.

[5]- محمد خير فلاحة، الخلافة من المهد إلى اللحد، د.ط، د.د، د.م، 2005م، ص68،69.

[6]- محمد مصطفى الهلالي، المرجع السابق، ص21،22.

[7]- علي محمد محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، د.ط، د.د، د.م، د.ت، ص651،652.

"يا إلهي إني أعرف أنك العزيز وليس أحد سواك إنك الواحد وليس سواك، يا إلهي خذ بيدي في هذه المحنة، يا إلهي كن عوني في هذه الساعة الحاسمة"[1].

يعتبر والد السلطان عبد الحميد أول سلطان في آل عثمان يضفي على حركة تغريب الدولة العثمانية صفة رسمية، وبدأ في عهده ما سمي بعهد التنظيمات، وهو إصلاح يعني بتنظيم شؤون الدولة وفق المنهج الغربي وبدأت الدولة في عهده تستلهم الروح الغربية في الحياة[2]، وبهذا كان أبوه أول خليفة عثماني يرعى مسيرة التغريب في الدولة العثمانية حيث أصبح الباب العالي يتقاسم النفوذ مع السلطان في حكم الدولة، وأصبحت مشيخة الإسلام مجرد هيئة شورية لا أكثر، كما تابع عمه عبد العزيز نهج أخيه عبد المجيد في مسيرة تغريب الدولة تحت شعار الإصلاح والتحديث، لكنه لم ينجح وتم قتله ليتولى الخلافة السلطان مراد الخامس[3]، شقيق عبد الحميد[4].

2-صفاته:

تميز السلطان عبد الحميد بشخصية رزينة، واثقا دائما بنفسه لا يتأثر بالمظاهر الخداعة، فقد كان مثالا للعفة والاحترام والوقار عفيفا بكل معنى الكلمة، لا يمد عينه إلى عرض أو مال أحد، كما كان صبورا حليما رحيما حاد الذكاء، ومن شدة ذكاءه أتقن اللغة الفرنسية التي تعلم قسما منها في صغره[5].

وكان عبد الحميد ساهرا في إخفاء مقاصده وأفكاره عن الآخرين، وعلى الرغم من قدرته على الاستفادة من الأوضاع السائدة انذاك، إلا أنه لم يكن يثق أيام ولاية عهده في أي أحد من رجالات الدولة ويرجع سبب ذلك إلى وفاة أمه في سن مبكرة، وكذلك اطلاعه على أساليب رجالات الدولة في ضرب بعضهم البعض، ونفاق مقربيه، وبالرغم من أنه لم يكن يؤمن لأحد إلا أنه يحاول دائما الظهور بمظهر الأمن[6].

لقد كان متدينا وسط أجواء أوروبية يعيشها أمراء القصر السلطاني، كما كان حريصا على أداء الصلوات في أوقاتها، لا يشرب الخمر، كما كان يمنع تدخل نساء القصر في السياسة أو شؤون الدولة منعا باتا[7]، وفي هذا تروي ابنته الأميرة عائشة الحكاية التالية: "لقد كان والدي مؤمنا بأن تدخل السلطان عبد

---

[1]- محمد مصطفى الهلالي، المرجع السابق، ص 22،23.
[2]- سليم رجب محمد، السلطان عبد الحميد ودوره في مواجهة الصهيونية، جامعة عمر المختار، 2011م،2012م، ص3.
[3]- هو ابن السلطان المجيد ولد في 25 رجب سنة 1256هـ الموافق لـ 22 سبتمبر 1840م، ارتقى إلى منصب الخلافة في 7 جمادى الأولى سنة 1293هـ الموافق لـ 31 ماي 1876م، وتم خلعه عن العرش يوم الأربعاء 10 شعبان 1293هـ الموافق لـ 31 أوت سنة 1876م، أنظر، محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 579، 584.
[4]- موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص53،55.
[5]- محمد مصطفى الهلالي، المرجع السابق، ص22،23.
[6]- عائشة عثمان أوغلي، المصدر السابق، ص11،12.
[7]- عبد الحميد الثاني، السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1977م، ص43.

العزيز ووالدة السلطان مراد في شؤون الدولة أمر لم يسفر عن نتائج طيبة للدولة ولا للأسرة المالكة فكان أول ما فعله في اليوم التالي لتوليه العرش، أن قبل يد مربيته وقال لها: "إنني لم أشعر في يوم من الأيام بحرماني من والدتي، وأنتي في نظري مثلها تماما، لا فرق بينكما، إن مكانتك هي مكانة والدة سلطان، وسوف يكون من حقك استخدام كل صلاحيات الوالدة في السراي[1]، غير أنني أرجو منك بصورة خاصة أن تتجنبي أبدا التدخل في شؤون الدولة، فتسعين لحماية هذا أو ذاك، وتساعدين الطامعين في الرتب والمناصب"[2].

لقد كان السلطان عبد الحميد متوسط القامة، يميل شعر رأسه ولحيته إلى اللون الكستنائي الغامق، كثيف شعر الرأس، ومحدب الأنف مثل آل عثمان، عيناه بين الزرقة والخضرة، أما نظراته فكانت تدل عن ذكائه وحساسيته كما كان ليس كثيف الحواجب، كما كان جبينه عريض عال، أما شفتاه لم تكن لا بالغليظة ولا بالرقيقة، أبيض الوجه، أما جسمه كان أكثر بياضا من وجهه، كانت يداه وقدماه متوسطتا الحجم متناسقتان، وكان صوته جهوريا قويا كما كانت له القدرة على شرح أفكاره ومراميه بأفصح العبارات وأرق الكلمات وكان عبد الحميد بسيط الملبس على الدوام، رجل لا تستهويه المظاهر، كما كان يؤدي صلاته بانتظام، وكان يحمل سجادته أينما ذهب، وكانت سبحته لا تغادر جيبه، كما كان يستخدم ساعة ذهبية، ويضع في أصبعه خاتم من ذهب، وتقول ابنته عائشة أنه كان ينام ويستيقظ مبكرا، وكان دقيقا في تنظيم أوقاته، وكان عبد الحميد يعشق اللون الرمادي، أما بالنسبة إلى الأكل فطعام الغداء كان في الساعة الحادية عشر، والعشاء في الخامسة مساءا، وعشاءه كان خفيفا وهو عبارة عن الشربة ومرق اللحم والفواكه، كما كان يحب أكل البيض النصف المسلوق، وكذلك الحلويات، وشواء الضأن الخالي من العظام[3].

3-هواياته:

كان للسلطان عبد الحميد هوايات كثيرة ومتعددة منها:

1- مناقشته للعلماء ومناظراته المشايخ: حيث كان يجتمع بالعلماء في قصره ويناقشهم ويناظرهم، ويستمع إلى آراءهم ومقترحاتهم ونصائحهم، وإرشاداتهم وكان هذا يسره كثيرا، وبالأخص في شهر رمضان الفضيل.

---

[1]- سراي كلمة فارسية الأصل وتعني المنزل أو القصر، وتعني في الاستعمال العثماني مجموعة المباني المشيدة في القصر الإمبراطوري من بلاط ومنازل، لأعضاء الأسرة المالكة وموظفي شؤون القصر، والاشتقاقات الأوروبية للكلمة هي سرايل، سراجيليو، والاستعمال التركي لهذه اللفظة يطلق على القصر بأسره لا على قسم منه، أنظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: محمد حسين بركات، دط، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000م، ص133.

[2]- عائشة عثمان أوغلي، المصدر السابق، ص68.

[3]- نفسه، ص63،64.

2- **جمع الكتب:** قام عبد الحميد بجمع الكثير من الكتب النادرة، ولم يكتف بهذا فقط، بل شجع المكتبات، وزودها بالكتب المخطوطة النادرة، وبلغ عدد الكتب المخطوطة لديه 64162 مجلدا كانت كلها إسلامية، تم وضعها في 45 خزانة[1].

3- **الموسيقى:** لقد شغف عبد الحميد بالموسيقى منذ شبابه، حيث أحضر من أوروبا آلة بيانو لكل أمير، وكان يطلب من أبنائه أن ينشغلوا بالموسيقى، كما أحضر لسراي مدرسي الموسيقى من إيطاليا وفرنسا، وكان يصحح الأخطاء الموسيقية أثناء عزف أبنائه، وكان يركز على درجة السرعة.

4- **النجارة:** لقد بدأ شغفه بالنجارة منذ أيام والده، ولقد قام بصنع العديد من الأشياء كالمقعد، وخزانة ظريفة ذات أدراج.

5- **الرسم:** وتقول الأميرة عائشة عن هذا: "كان والدي مغرما برسوم المناظر الطبيعية والزهور، كما قام برسم بعض الصور، حتى إنه رسم لوالدتي عندما تزوج بها صورة بقلم الفحم[2].

6- **تصليح الساعات وصناعة الخزف:** كان يقوم بنفسه بتصليح الساعات، كما كان له معمل صناعة الخزف في قصره، فكان يقضي بعض أوقات فراغه في هذا المعمل، بالإضافة إلى هذا فلقد شيد عبد الحميد مختبرا كبيرا، وكان يحلل فيه المشروبات المشتبه بها بنفسه، ويقوم بتجارب كيماوية عديدة[3].

7- **الرياضة والفروسية:** ويقول: "كنت في شبابي أنزل البحر، وأسبح جيدا، وأروض الخيل واستخدم العربة، وأهوى التجديف واستخدام المراكب الشراعية، وأمارس الرماية بالطبنجة، وأخرج للصيد، وألعب بالسيف"[4].

1- سفره إلى أوروبا مع عمه السلطان عبد العزيز:

صحب عبد الحميد عمه السلطان عبد العزيز في زيارته إلى الإسكندرية والقاهرة عام 1846م، وهو في الحادية والعشرين من عمره، ثم صحبه بعد هذا مرة ثانية إلى أوروبا[5].

لقد قام السلطان عبد الحميد الثاني بزيارة إلى أوروبا مع عمه عبد العزيز بمرافقة وفد رفيع المستوى، أمام الأوروبيين بملابسه البسيطة، وسيرته الحميدة في العفة، وقد استعد سابقا لهذه الرحلة بمطالعات واسعة، لأنه كان دقيق في ملاحظاته وفي حكمه على الأشياء التي رآها في الغرب، وقد التقوا

---

[1]- محمد مصطفى الهلالي، المرجع السابق، ص24.
[2]- عائشة عثمان أوغلي، المصدر السابق، ص85.
[3]- محمد مصطفى الهلالي، المرجع السابق، ص24،25.
[4]- عائشة عثمان أوغلي، المصدر السابق، ص87،88.
[5]- محمد مصطفى الهلالي، المرجع السابق، ص23.

بساسة ذلك العصر في أوروبا مثل: نابليون الثالث في فرنسا، والملكة فكتوريا في انجلترا وغليوم الأول في ألمانيا، وفرنسوا جوزيف في النمسا، وقد استغرقت رحلته إلى أوروبا من 21 جوان إلى 07 أوت من سنة 1867م، زار فيها هذا الوفد كل من فرنسا وانجلترا وبلجيكا والدولة النمساوية المجرية[1].

وفي هذه الرحلة تفتح ذهن عبد الحميد إلى عدة أمور، انعكست على فترة حكمه كلها ومن هذه الأمور عرف الحياة الأوروبية بكل ما فيها من طرق معيشة، وأخلاقيات وكذلك التطور الصناعي والعسكري وخاصة في القوات البرية الفرنسية والألمانية وفي القوات البحرية البريطانية، تعلم كذلك ألاعيب السياسة، وكذلك مدى تأثير القوى الأوروبية على سياسة الدولة العثمانية على عمه السلطان عبد العزيز، وخاصة نابليون الثالث[2]، كذلك اقتنع عبد الحميد بأن فرنسا دولة لهو وانجلترا دولة ثروة وزراعة وصناعة، أما ألمانيا فهي دولة نظام وعسكرية وإدارة، وأعجب بألمانيا كثيرا لذلك عهد بتدريب الجيش العثماني إليها لما أصبح سلطانا، كما دفعته هذه الرحلة إلى الاهتمام بإدخال المخترعات الحديثة في الدولة العثمانية في مختلف النواحي كما تعلم عبد الحميد من هذا السفر كيفية إسكات القوى التي تود تحطيم الدولة العثمانية، وتعلم ذكاء الحوار السياسي، وهذا ما برع فيه فيما بعد[3].

5 – عبد الحميد يتولى الخلافة :

عاش عبد الحميد قرابة 33 سنة ولم يفكر قط بالخلافة ،لكن خلع عمه، وإظهار أخاه عدم التوازن العقلي ،حينها بدأ يشعر باقتراب دوره، وكان عبد الحميد الثاني يريد أن يجعل صلاح الدين ابن أخيه مراد البالغ 15 سنة نائب السلطنة إلى أن يتم شفاء أبيه لكن أكثرية الوزراء والمستشارين يرون انه لا مخرج من ذلك إلا باجلاس عبد الحميد، وهذا بسبب كثرة الأقوال وبعض الانشقاقات داخل القصر وخارجه ،ولهذا صوت كل النظار[4]في اجتماع وزاري لصالح إجلاس عبد الحميد عدا رأي واحد أيد بقاء مراد خان[5].

وفي يوم 18 شعبان 1293 هـ الموافق لـ 7 سبتمبر 1876 م، استلم السلطان عبد الحميد الثاني مقاليد الحكم في جامع أبي أيوب الأنصاري على ما جرت به العادة وكان ذهابه إلى هذا الجامع في موكب حافل لم يسبق له مثيل [6]،ولقد حضر الوزراء والأعيان وكبار الموظفين من مدنيين وعسكريين ورؤساء

---

[1]- علي محمد الطلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص399،400.

[2]- علي محمد الطلابي، السلطان عبد الحميد وفكرة الجامعة الإسلامية، ص13.

[3]- علي محمد الطلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص400،401.

[4]تعني الإدارة والوزرة، واسم القاعل منها ناظر وقد بدا استخدامه في عهد السلطان محمود الثاني 1808هـ-1849م ،للمؤسسات الحكومية التي تشرف على قطاعات معينة ، وهي تعني بالمفهوم المعاصر الوزارة، انظر، سهيل صابان ،مرجع السابق ،ص،223 .

[5]-يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية ،تر: عدنان محمود سلمان، تح: محمود الأنصاري،م2،ط1،منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول، 1990م،ص100.

[6]-محمد فريد بيك ،المصدر السابق ،ص587.

الطوائف المختلفة ،وتلقى التهاني منهم بالخلافة، وأطلقت المدافع بسائر أطراف السلطنة احتفالا بهذه المناسبة ،كما أقيمت الزينات بجميع جهات اسطنبول ثلاثة أيام وأرسل الصدر الأعظم مدحت باشا برقيات إلى دول العالم لإعلامها بذلك،[1]وزار أثناء عودته قبر والده المرحوم عبد المجيد المدفون بجامع السلطان سليم ،ثم زار ضريح محمد الفاتح رحمه الله ،وكذلك قبر جد السلطان محمود الذي قضى على الانكشارية [2]، وأخيرا قبر عمه عبد العزيز، لقد استلم عبد الحميد مقاليد الحكم بهمة ونشاط واظهر للوزراء رغبته الجامحة في إصلاح الأمور[3].

وأرسل الباب العالي إشعارا يوم 21 شعبان1393 هـ الموافق 10إلى سبتمبر 1876 جاء فيه :

" وزيري سمير المعالي محمد رشيد باشا :

انه لما أعتزل أخي ...جلسنا بموجب القانون العثماني ... وأسباب متنوعة وصور وأشكال متعددة ،فإذا أمعنا النظر في ذلك من أي جهة كانت تجتمع مبادئه وأسبابه في نقطة واحدة ،وهي عدم جريان القوانين والنظامات المؤسسة على الأحكام الجليلة والشرعية التي هي المسند الأساسي في دولتنا على حقها وتمامها وإتباع كل فرد أهواء نفسه في إدارة الأمور ... فينبغي المثابرة بالاجتهاد على ازدياد روابط الحب و المسالمة ، المتبادلين بيننا و بين الدول و نسأل حضرة الرب المتعال أن يقرن مساعينا جميعا بتوفيقاته السبحانية في كافة الأحوال أمين "[4].

لقد جابهت عبد الحميد الثاني مشاكل عديدة عند اعتلاءه العرش سواء في الداخل الدولة الثمانية أو خارجها فقد سقط قبله في شهور قليلة سلطانان ، قتل احدهما وجن الأخر، وكانت الدولة مثقلة بالديون بسبب الاعتماد على الاستيراد ،واضطرت إلى الاعتماد على الأقليات في وظائف الدولة فكان بعضهم في السفارات يفضل اعتلاء مصالح بلاده على مصالح الدولة العثمانية[5]، في وقت كانت الديون قد بلغت أكثر من 25 مليار ليرة عثمانية، وكان عليه أن يقوم بعمل ما لمواجهة هذا الموقف أمام تحديات الدول الأجنبية[6]، كما عاصرت فترة حكم عبد الحميد الزحف الاستعماري الأوروبي في أشد مراحله على ما تبقى من أقاليم لم يكن قد وصل إليها الاستعمار في آسيا وأفريقيا، فقد تسابقت كل من روسيا والنمسا

---

[1]-إسماعيل أحمد ياغي ،المرجع سابق،ص183.

[2]-من الكلمتين التركيتين "يني تشيري " سلاح المشاة الجديد، وهي قوات خاصة ،مميزة في الإمبراطورية العثمانية، تم تأسيسها في النصف الأول من القرن الرابع عشر ميلادي، على يد السلطان أورخان، وفي عام 1826م قام السلطان محمود الثاني بالقضاء عليها، انظر نيل الكسندر دولنيا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية ،في ثلاثينات وأربعينيات القرن التاسع عشر ،تر :أنور محمد إبراهيم ، دبط ، المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة،1999 م،ص174.

[3]-محمد فريد بيك ، المصدر السابق، ص587.

[4]- نفسه،ص،587،589 .

[5]- مصطفى حلمي، الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، دراسة حول كتاب "التنكير على منكري الدين والخلافة والأمة"، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص69.

[6]- إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص184.

والمجر وفرنسا وإيطاليا وانجلترا وإيطاليا على اقتسام الولايات العثمانية فتحتم على الدولة أن تواجه خمس دول أوروبية كبرى[1].

6- نظرته للغرب:

أشارت الدكتورة الماولتن إلى أن السلطان عبد الحميد الثاني كان أول من تجرأ على تحدي العالم الغربي بقوله: "يجب ألا ندع الغرب يبهرنا فإن الخلاص ليس في المدينة الأوروبية وحدها" وقوله: "إن تركيا هي نافذة الإسلام التي سيشع منها النور الجديد"، وقد وجدت دعوته أصداء واسعة بين المبشرين المسلمين وكان يلقى ألوف الرسائل والوثائق الرسمية من مختلف أنحاء العالم تتضمن تأييد الملايين للسلطان[2].

كان للسلطان عبد الحميد الثاني مفهومه الخاص في إدخال عناصر المدنية الغربية لبلاده فهو لا يريد من الغرب الحضارة ولا الثقافة ولا التراث لأنه كان يرى أن للشرق حضارته الإسلامية المتكاملة والمتفوقة على حضارة الغرب، وإنما كان يريد ما يهم فقط من العلوم الحديثة، وحتى هذا لا يريده دفعة واحدة وإنما بالتدرج إذ يقول: "ليس من الصواب القول بأني ضد كل تجديد يأتي من أوروبا"[3].

والحقيقية التاريخية تثبت إفادة عبد الحميد من الغرب بطريقته الخاصة في كافة الميادين التي رأى أنها تحتاج لخبرة الخارج، فأقام عدة كليات ومدارس متخصصة، كما أرسل البعثات العلمية إلى كل من فرنسا وألمانيا إلى جانب أعمال أخرى[4]، فهو لم يكن معاديا لأي إصلاح لا يهدد سلطته، لأن الإسلام لم يكن يوما ضد التقدم والاستفادة من الغير، فهو كان يعتقد أن الأمور القيمة يجب أن تكون طبيعية وأن تأتي من الداخل حسب الحاجة إليها، ولا يمكن أن يكتب لها النجاح إذا كانت على شكل تطعيم من الخارج[5].

7-إنجازات السلطان عبد الحميد الثاني:

شهدت البلاد العثمانية أثناء فترة حكم عبد الحميد العديد من الإصلاحات، التي شملت معظم القطاعات، كالنهوض بالزراعة، وتحديث الصناعة، وتنشيط حركة التجارة وإصلاح القضاء والتعليم المدني، والفني، وحتى العسكري، وكذلك تعزيز قوة الجيش والأسطول، وكذلك تطوير الصحة، والمواصلات، ولقد بلغت إصلاحات السلطان عبد الحميد ذروتها، وقد أثبتت هذه الإصلاحات أن السلطان

---

[1]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص435.
[2]- أنور الجندي، السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث، ط1، دار ابن زيدون، بيروت، 1407هـ، ص101.
[3]- محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد، ط3، دار القلم، دمشق، 1991م، ص26،27.
[4]- نفسه، ص27.
[5]- أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السبق، ص242.

عبد الحميد الثاني كان مصلحا قديرا وإداريا بارعا، وسلطانا فطنا في شؤون الحكم،وقام عبد الحميد بالعديد من الإصلاحات، ومن أهم الإصلاحات التي قام بها:[1]

7-1-التعليم:

لقد شهد التعليم في عهده تطورا ملحوظا، فقد زاد عدد مدارس التعليم الحديث وعدد طلبتها، وكانت الملكية المؤسسة الأولى للتعليم العالي، والتي ظلت مركزا فكريا مهما، ومأوى للأفكار الحرة الجديدة والمعادية للاستبداد[2]، ومن المدارس العليا التي أنشأها عبد الحميد: المدرسة السلطانية للشؤون المالية، وقد افتتحت سنة 1878، ومدرسة الحقوق الذي كان يعرف باسم مكتتبي حقوق شاهاني وكذلك مدرسة الفنون الجميلة التي أنشأت سنة 1879م، والتجارة عام 1882م، وكذلك الهندسة المدنية 1884م، والطب البيطري 1889م، والشرطة والجمارك، وكذلك مدرسة الطب الجديدة يقوم التدريس فيها طبقا بأحدث وسائل العصر 1898م[3]، وتوج عبد الحميد الثاني جهوده في الحقل التعليمي بتطوير مدرسة استانبول الكبرى التي تم إنشاؤها في عهد السلطان محمد الفاتح وأضحت جامعة استانبول وضمت في أول أمرها أربع كليات: هي العلوم الدينية وكلية العلوم الرياضية، والعلوم الطبيعة والعلوم الأدبية، واعتبرت مدرستا الحقوق والطب كليتا ملحقتين بالجامعة[4]، وترك عبد الحميد المكاتب والمدارس الدينية التابعة للهيئة الدينية الإسلامية، تؤدي رسالتها التعليمية، وأنشأ كذلك عدد كبير من المدارس الراشدية[5]، أنشأ منها تسعة وعشرون في ولايات الدولة، وستة في متصرفيات الدولة[6].

إلى جانب اهتمامه بالتعليم المدني، ظفر التعليم العسكري بأوفى عناية من عبد الحميد، فدعم الكليات الحربية القائمة وأنشأ مدارس عسكرية أخري في عدد من الولايات مثل أدرنة ومونا ودمشق وبغداد وغيرها، كما أنشأ مدرسة للبحرية العسكرية وأخرى للبحرية التجارية[7]، كما زود القوات العسكرية بالخبرة الأجنبية من خبراء ومدربين من الدول الأوروبية وخاصة من ألمانيا ،التي أرسل إلى كلياتها عدد من الضباط العثمانيين لمتابعة الدراسة فيها، كما نشطت في عهده حركة ترجمة الكتب ذات الطابع العسكري من طرف الضباط العثمانيين من اللغات الأوروبية إلى التركية[8].

---

[1]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص543.
[2]- الغالي غربي، المرجع السابق، ص160.
[3]- عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص25.
[4]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص154.
[5]- سميت هذه المدارس بهذا الاسم لأن تلاميذها اقتربوا من السنة الرشد، المرجع نفسه، ص545.
[6]- عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص26،27.
[7]-محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص454 .
[8]-الغالي غربي، المرجع السابق، ص160.

كما انشأ عبد الحميد مكتبات عامة عديدة، كما ساعدت الطباعة على طبع آلاف الكتب وخطت الصحافة خطوات إلى الأمام، كما ظهرت العديد من المجلات، ودلت هذه السياسة الإصلاحية التي انتهجها عبد الحميد في مجال التعليم المدني أو العسكري على رحابة أفقه العقلي والذهني، وكذلك قوة عزيمته بالرغم من الأزمات السياسية الداخلية والخارجية التي واجهته إبان توليه العرش[1].

هذا بالإضافة إلى إصلاحاته في المجال الزراعي، فقد أنشأ غرفا للصناعة والزراعة والتجارة وقد أكد على ذلك في مذكراته بقوله " إن الزراعة أساس في غنى البشرية، وتمثل المرتبة الأولى بين الأعمال في الدولة العثمانية ،فهي الغذاء لجميع الكائنات الحية، يجب علينا أن نسعى إلى تطوير الإنتاج الزراعي قبل كل شيء فأراضينا هي أراض خصبة، وعلى مزارعينا أن يتلقوا العلم الزراعي الحديث حتى يتمكنوا من رفع مستوى الزراعة عندنا إلى المكانة اللائقة بها، ... وقد أرسلنا بعثة تعليمية إلى فرنسا ... كما سنرسل بعثة مماثلة إلى ألمانيا للاطلاع على أصول تربية الحيوان، و أنشئت أول مدرسة زراعية في بلادنا في سيلانيك ... بعد افتتاحها ستكون الدراسة فيها مجانية ... ولنا وطيد الأصل في تخريج خبراء شباب في الشؤون الزراعية والحيوانية وفي الشؤون الحيوية الأخرى"[2].

7-2- الإصلاح القضائي:

لقد امتد الإصلاح إلى السلطة القضائية، و انفصلت أيضا عن السلطة التنفيذية والسلطة العسكرية، وبموجب الإصلاح انتشرت المحاكم المدنية عام 1789م، وكانت المحاكم العدلية على ثلاث درجات ابتدائية واستئنافية ومحكمة التمييز في العاصمة وقد أخذت التنظيمات العدلية عن القوانين الفرنسية، وقد بقي قانون الأحوال الشخصية خاضعا لأحكام الشريعة الإسلامية، وكذلك التنظيمات الروحية بالنسبة للطوائف الدينية الأخرى.[3]

كانت وسيلة السلطان عبد الحميد الثاني لتحقيق الإصلاح القضائي تتمثل في إصدار تشريعات قضائية جديدة تجعله بعيدا عن كل نقد من جانب الدول الأوروبية، فأنشأ مدرسة الحقوق السلطانية في عام 1878م، لإعداد رجال قانون،والتي ألحقت بالجامعة استانبول، كما استعانت الدولة بالمتخرجين فعينتهم بالمحاكم النظامية، وأعاد تنظيم وزارة العدل، وأصبحت تشرف على القضاء المدني والجنائي.[4]

---

[1]-عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص27.
[2]-عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص 190 191.
[3]- إسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص188.
[4]-محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص546.

7-3-الخطوط الحديدية وأسلاك البرق:

كان التوسع في إنشاء الخطوط الحديدية من أهم المشروعات التي اهتم بها السلطان عبد الحميد الثاني، إذ كان يرى فيها وسيلة فعالة وسريعة للنهوض بالدولة، ولقد لجأ إلى عدد من الشركات الأجنبية الخاصة الألمانية، وإن طول الخطوط الحديدية في الدول قد زاد في عهد عبد الحميد فبلغ 5884 كيلومتر في سنة 1907م-1908م، بعد أن كان بضع مئات الأمتار عندما ارتقى العرش، كما قفزت إيرادات الحكومة من السكك الحديدية قفزة رهيبة[1]، كما ازداد استعمال البرق في عهد عبد الحميد وتوسع استعماله، ولم يعد مقصورا على الأعمال الحكومية، بل دخل حياة الناس الخاصة الذين اقبلوا على استخدامه مما زاد أيضا في إيرادات الحكومة، كما أرسلت البعثات العلمية إلى باريس لدراسة استخدام أجهزة البرق وحل موظفو البرق العثمانيون محل الموظفين الأوروبيون[2].

7-4- إعلان الدستور:

قام عبد الحميد بتعيين مدحت باشا صدرا أعظم وفي 23 ديسمبر 1293هـ/1876م، أعلن الدستور الذي يضمن الحريات المدنية وينص على مبدأ الحكومة البرلمانية، فقد كان البرلمان يتكون من مجلسين: مجلس النواب أو المبعوثين ثم مجلس الأعيان أو الشيوخ، ويقول عبد الحميد "لقد وجدت مدحت باشا ينصب نفسه آمرا ووصيا علي وكان في معاملته بعيدا عن المشروطية وأقرب إلى الاستبداد"[3].

وكان يشمل هذا القانون على مئة وتسع عشرة مادة، ولقد تمت إذاعته في جميع محافل الدولة، وقوبل بالفرح من قبل الأهالي ومن أهم ما جاء به الدستور الجديد:

1- ضمان الحرية لجميع رعايا الدولة العثمانية والمساواة أمام القانون.
2- حرية التعلم مع جعله إجباريا على جميع العثمانيين.
3- حرية المطبوعات.
4- إعلان الإسلام دين الدولة الرسمي واللغة التركية لغة رسمية للبلاد.
5- إبطال مصادرة الأموال والتعذيب في التحقيق والسخرة.
6- وضع ميزانية سنوية تعرض على هيئة المبعوثات ثم الأعيان.
7- عدم جواز عزل القضاة إلا بسبب شرعي.

---

[1]- محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص39،40.
[2]- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص549.
[3]- علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ص401،402.

8- إقرار اختصاصات مجلس المبعوثان والأعيان وكيفية الانتخاب[1].

إلا أن التجربة الدستورية لم تدم أكثر من سنة واحدة وفي 14 أفريل 1878م، تم حل البرلمان وتوقيف العمل بالدستور، وقد ارتكز السلطان في اتخاذ هذا القرار على رفض التيار المحافظ لبرنامج مدحت باشا واعتراض الأحرار وأعضاء العثمانية الفتاة عليه، فطرد مدحت باشا خارج البلاد، وقد نجحت المعارضة السياسية، في تأليب الوضع على السلطان هذا ما أرغمه إلى العودة إلى الحياة الدستورية، ومن أشهر هذه الحركات الفاعلة تيار جمعية الاتحاد والترقي التي تأسست عام 1889م، وانتشرت فروعها في أغلب ولايات الدولة، ونمت فعاليتها بفضل المحافل الماسونية والصهيونية وتمكنت الجمعية من إرغام عبد الحميد لوضوح مطالبهم، وفي 1908م، تمكنت من إعلان المشروطية الثانية للدستور، ومن خلع السلطان عبد الحميد الثاني في أفريل عام 1909م[2].

[1]-وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط1، دار الأهلية ، د.م، 2003، ص269،271.
[2]- الغالي غربي، المرجع السابق، ص158،159.

المبحث الثاني: السلطان عبد الحميد وحركة الجامعة الإسلامية

1-السلطان عبد الحميد الثاني يتبنى حركة الجامعة الإسلامية:

اقترن اسم السلطان عبد الحميد الثاني بأفكار الجامعة الإسلامية فعندما اعتلى العرش كانت قد مضت بضع سنوات على الدعوة الفكرية التي نادى بها جمال الدين الأفغاني، الذي دعا من خلالها كل المسلمين إلى تجديد حياتهم الشرقية على أسس إسلامية، وهذا بهدف رفع مستويات المجتمعات الإسلامية إلى المستوى الذي بلغته المجتمعات الحرة المتقدمة، وهذا بنشر التعليم، وتطبيقا الدين تطبيقا يتلاءم وروح العصر، بشرط أن تكون البلاد الإسلامية متحررة من السيطرة الأجنبية، وهذه هي الأفكار التي تبناها الأفغاني في مصر خلال فترة إقامته فيها، والتي انتشرت كثيرا لأنها ترمي أساسا إلى إحياء الإسلام بشمولية كاملة، ومنذ ذلك الحين بدأ عبد الحميد يؤسس مشروعه السياسي الديني القائم على تلك المرتكزات[1].

وهكذا بدأت فكرة إحياء الوحدة الإسلامية والتي هي فريضة دينية لقوله تعالى: "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون"[2]، وقوله: "وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون"[3]، وقوله: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا"[4] وقوله عز وجل: "وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم"[5].

وقد استغل الفكرة الداهية عبد الحميد لتقوية هيبته في أعين الدول الأوروبية التي سيطرت على معظم البلدان الإسلامية في آسيا وإفريقيا، وهذا لتوحيد القوى وتوجيه الهمم في مجرى واحد لمقاومة الدول الغربية، فاتجهت الأنظار نحو تركيا بصفتها مركز الخلافة وأيدت هذه الحركة صفة الخلافة الدينية الشاملة[6].

وكانت الظروف الداخلية والخارجية، وحالات الارتباك التي كانت تمر بها الدولة العثمانية آنذاك، لأن يتزعم دعوتها عبد الحميد حيث وجد أنها خير علاج لما تعانيه سلطنته من أمراض وأوجاع[7].

---

[1]- الجميل سيار، تكوين العرب الحديث، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1997م، ص511،512.
[2]- الأنبياء: الآية،92.
[3]- المؤمنون: الآية، 52.
[4]- آل عمران: الآية،52.
[5]- الأنفال: الآية،63.
[6]- فيليب حتي، تاريخ موجز العرب2، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1991م، ص82،83.
[7]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص501.

ويقول عبد الحميد الثاني في مذكراته: "فإذا كنا نريد أن نحيا من جديد وأن نستعيد قوتنا ونبلغ عزتنا التي كنا فيها، علينا أن نرجع إلى المعين الذي أخذنا منه تلك القوة، فالخير كل الخير في رجوعنا إلى إسلامنا وشريعتنا....."[1]

ولقد جاءت دعوة الأفغاني في وقت كان فيه السلطان عبد الحميد الثاني يعاني مر المعاناة من النهب الاستعماري الاقتصادي والسياسي والتوسعي، وبهذا أصبح بحاجة ماسة إلى نظرية تجمع رعيته تحت مظلته بل وتعمل على تجميع المسلمين فيما وراء دولته في مشارق الأرض ومغاربها تحت لوائه، فبعد ما مهد الأفغاني الأرضية للجامعة الإسلامية أطلق عبد الحميد الدعاة ورجال الدين لينشروا الوعي بين المسلمين على أساس:

1- وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل.
2- إنما المؤمنون إخوة.
3- وجعلناكم خير أمة.
4- فليصبح المسلمون كالبنيان المرصوص.

واطلقت حناجر المساجد في خطبة كل صلاة جمعة داعين إلى وحدة المسلمين وإقامة الجامعة الإسلامية في ظل خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثاني، ولقد رحب بالفكرة غالبية المسلمين من كل أرجاء العالم الإسلامي[2].

وبهذا حاول عبد الحميد إلى تقوية الوحدة الإسلامية التي تقوم على ركنين هامين وهما:

1- الخلافة الإسلامية لما لها من شأن كبير في المحافظة على الوحدة الإسلامية.
2- الحج إلى بيت الله الحرام إذ أنه بمثابة مؤتمر إسلامي سنوي عام يتدارس فيه المسلمون أحوالهم.

ودعا عبد الحميد للجامعة الإسلامية معلنا أنه يرمي لربط المسلمين في شتى البلاد بآصرة قوية هي الدين، متخليا عن عصبية الجنس واللغة، وأنه ينوي أن يهيئ البلاد الإسلامية بأواصر الحرية والإخاء[3].

تلقف عبد الحميد حركة الجامعة الإسلامية، إذ رأى فيها سياجا يحمي الدولة من الأخطار التي كانت تحيط بها، بالإضافة إلى هذا وجد فيها خير معين له لتنفيذ سياسته الداخلية والخارجية، فمن الناحية الداخلية كان تنفيذ مبادئ حركة الجامعة الإسلامية يعني الالتزام بحدود الشريعة الإسلامية، وهي البديل

---

[1]- عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص165.
[2]- عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د.م، ص220.
[3]- محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، د.ط، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989م، ص129.

للحلول الدستورية والإصلاحية المطروحة[1]، وقد حاول أن يقوي مركزه كسلطان داخل إمبراطوريته على الشعوب الإسلامية التي كانت تسكنها، وذلك بإعطاء أهمية لصفته كخليفة للمسلمين وظل الله على الأرض، وأمير المؤمنين وخادم وحامي الحرمين، واستخدم هذا كوسيلة في سبيل الحصول على الولاء لعرشه، وساعيا وراء تكتل قوة واحدة[2]، وهذا لمواجهة التيار الفكري المتأثر بالثقافة الغربية، وإذابة جميع القضايا القومية العربية والكردية أما من الناحية الخارجية فإن هذه السياسة الإسلامية تعتبر سلاحا للضغط على الدول الأجنبية بإثارة المسلمين الخاضعين لفرنسا في شمال إفريقيا ومسلمي الهند الخاضعين لبريطانيا والتتار الخاضعين لروسيا القيصرية[3].

ومن أجل وصول عبد الحميد إلى تحقيق هذه السياسة الإسلامية قام بعدة أعمال، كان الهدف منها هو تحقيق أمله في إحياء وإنقاذ دولته والتي هي:

1- كسب شريف مكة واستغلال نشاطه في موسم الحج تمهيدا لرجوع المسلمين إلى بلادهم، وهم يحملون أفكارا جيدة عن الخلافة وعن السلطان عبد الحميد[4].
2- تقريب العلماء المسلمين منه شخصيا، من أجل استخدامهم في نشر دعوته وتصويره بالإنسان التقي.
3- اتصال السلطان بجمال الدين الأفغاني لإعداد العدة اللازمة لإبطال مكائد أوروبا، وأيضا للنهوض بالدولة والمسلمين[5].

2- أسباب احتضان السلطان عبد الحميد لفكرة الجامعة الإسلامية:

اهتم السلطان عبد الحميد الثاني لفكرة الجامعة الإسلامية بعد أن هيأ لها الجو جمال الدين الأفغاني في نطاق العالم العربي والإسلامي، واخذ السلطان عبد الحميد على عاتقه تنفيذ الفكرة عمليا، فهو اقدر من جمال الدين على زعامتها بصفته عاهل اكبر دولة إسلامية في العالم وخليفة المسلمين[6]، ومن المعروف أن الهدف الرئيسي للجامعة الإسلامية هو وحدة المسلمين تحت راية واحدة، ولهذا السبب رأى عبد الحميد نفسه انه هو الرمز الروحي والسياسي لهذه الحركة[7]، هذا بالإضافة إلى عدة عوامل داخلية وخارجية أدت بالسلطان عبد الحميد إلى احتضان فكرة الجامعة الإسلامية وهي:

---

[1]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص501.
[2]- عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، 1516م، 1922م، ط4، دار النهضة العربية، بيروت، 1983م، ص425.
[3]- إسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص197،198.
[4]- محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص129.
[5]- جميل بيضون وآخرون، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، د.م، 1992م، ص158.
[6]-محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص501.
[7]-ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930م، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص109.

1-استمرار الغزو الأوروبي الغربي على الدولة العثمانية دون توقف، على الرغم من خضوع العثمانيين للشروط الأوروبية التي رضت عليهم، ونتيجة لهذا فلقد فقدت الدولة العثمانية مع بداية القرن 19م الكثير من ولاياتها في أوروبا والوطن العربي[1]، لهذا رأى عبد الحميد في الجامعة الإسلامية سياجا يحمي الدولة من الأخطار التي كانت تحيط بها من كل جانب أمام أطماع كل من روسيا والمجر، وفرنسا، وبريطانيا كما أن السلطان كان يعلم تماما أن بريطانيا ترغب في الاستيلاء على ولاية طرابلس الغرب[2].

2-فشل مرحلة الإصلاحات العثمانية التي أدخلت تحديثا على الدولة، عن تحويلها إلى دولة عثمانية قوية قادرة على الوقوف بوجه أوروبا، هذا ما اظهر أن هذه التنظيمات لا يمكن الاعتماد عليها في إنقاذ الدولة من الانهيار، لهذا حمل السلطان التدخلات الأجنبية عدم نجاح القوانين والإصلاحات في جمع شمل كل مواطني الدولة حول السلطان، ناهيك عن الرجال الذين عارضوا هذه الإصلاحات[3].

3-كما أنّ مؤتمر برلين الأوروبي 1878م قد مزق الأقاليم العثمانية في أوروبا إربا إربا بين الدول الكبرى ، و كان هذا المؤتمر هو الخطوة الأولى في احتضار الدولة بعد أن مرت بفترة اضمحلال استمرت أكثر من قرن و بفقدان الدولة العثمانية أجزاء كبيرة من أراضيها ، فلقد جعلها مؤتمر برلين دولة إسلامية خالصة ، ولهذا وجدت معظم الشعوب الإسلامية أنّ مصلحتها تتطلب الوقوف وراء أقوى و أكبر دولة إسلامية ، و التمسك بحركة الجامعة الإسلامية، و الترحيب بها و التطلع إليها و تأييدها.[4]

4- كانت هناك شعوب إسلامية كثيرة خارج الدولة العثمانية ترنو بنظرها نحوها لمساعدتها في الخلاص من مستعمراتها و لاسيما الروس في أواسط آسيا و الإنجليز في الهند ، و الفرنسيين في أقطار المغرب العربي ، و هذا كان كذلك توجه بقية المسلمين.

5- كما العرب شكل عنصرا مهما في الدولة و كان على السلطان الالتفاف بهم لأنّ لغتهم لغة الدين.

6- ظهور في أوائل القرن 19م حركات إحياء دينية ترفض الاقتباس من الغرب من جهة و تقاوم الهجوم الغربي على العالم الإسلامي من جهة أخرى.[5] و نادت هذه الحركات بالعودة إلى الجذور الإسلامية ، و تطبيق المبادئ و الأفكار الإسلامية و أن تستمر الدولة العثمانية في تمسكها بقوانينها و معتقداتها الإسلامية و التي تشكل أساس حضارتها.[6] و من بين هذه الحركات الحركة السلفية الوهابية، والحركة السنوسية، و المهدية ، التي وقفت ضد السلطان عبد الحميد لعدم تطبيقه الشريعة الإسلامية، و إضافة

-هشام سوادي هاشم، تاريخ العرب الحديث1516-1918م، من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار [1]الفكر ،عمان،2001م،ص294.

[2]-محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص57.

[3]-هشام سوادي هاشم، المرجع السابق، ص294.

[4] محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص 501.

[5] هشام سوادي هاشم، المرجع السابق، ص 294.

[6] محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 497.

لهذه الأسباب هناك بعض الأهداف التي اعتبرها السلطان عبد الحميد حلا مستمدا من العقيدة الإسلامية لما أصاب سلطنته من أمراض و أوجاع.[1]

3- أهداف السلطان عبد الحميد الثاني من فكرة الجامعة الإسلامية:

كانت فكرة الجامعة الإسلامية في نظر السلطان عبد الحميد يمكن أن تحقق أهدافا عديدة منها:

1- مواجهة أعداء الإسلام المثقفين بالثقافة الغربية و الذين توغلوا في المراكز السياسية و الإدارية الحساسة، العثمانية و الإسلامية و إيقافهم عند حدهم، و هذا بوجود سدا إسلاميا ضخما و قويا يقف أمامهم و الذي يتمثل في الجامعة الإسلامية.

2- محاولة إيقاف الدول الاستعمارية الأوروبية و روسيا ، عند حدّها و هذا بتكتل المسلمين في صف واحد، و كذلك بتفطنهم بالأطماع الاستعمارية الغربية، و الوقوف ضدها بالوحدة الإسلامية.[2]

3- أراد عبد الحميد عن طريق فكرة الجامعة الإسلامية القضاء على المشاكل التي هزت كيان الدولة العثمانية ، بعد موجة من حركات الاستقلال للشعوب التي كانت خاضعة لدولته، حيث رأى أن يواجه الأخطار الأوروبية عن طريق العالمين العربي و الإسلامي معا، دون أن ينفرد الأتراك العثمانيون بذلك.[3]

4- كما أراد أن يثبت بأن المسلمين يمكن أن يكونوا قوة سياسية عالمية، يحسب لها حسابها، في مواجهة الغزو الفكري و العقائدي الأوروبي النصراني.[4]

5- تأخذ الوحدة الإسلامية الجديدة دورها في التأثير على السياسة العالمية.[5]

6- تقوية موقف السلطان عبد الحميد أمام الدول الأوروبية التي تستعمر بلدانا إسلامية كالجزائر و تونس و دول إفريقيا و الهند، فتكون هذه الشعوب وسائل ضغط على الدول الأوروبية المستعمرة لتقف إلى جانب خليفة المسلمين، و عدم التعرض إليه، أو الاعتداء على أراضي الخلافة الإسلامية.[6]

7- كذلك تستعيد الدولة العثمانية بوصفها دولة الخلافة قوتها و بهذا يمكن إعادة تقويتها و تجهيزها بالأجهزة العلمية الحديثة في كافة الميادين، و بهذا تستعيد هيبتها و قوتها.[7]

8- إنّ الفكر الإسلامي كان يؤكد على الولاء و الطاعة لشخص الخليفة بما فيه من قوة و نشاط في العالم الإسلامي، و هذا يؤدي إلى سيطرة عبد الحميد على أرجاء العالم الإسلامي ، خصوصا أنه كان يعاني

---

[1] هشام سوادي هاشم، المرجع السابق، ص 294.
[2] علي محمد محمد الصلابي ، السلطان عبد الحميد الثاني و فكرة الجامعة الإسلامية، ص 31.
[3] أحمد نوري النعيمي ، الدولة العثمانية و اليهود، ط1 ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006م، ص 123.
[4] علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، ص 418.
[5] عيسى الحسن، المرجع السابق، ص 678.
[6] محمد عبد الله عودة و آخرون، مختصر التاريخ الإسلامي، دط ،الأهلية للنشر و التوزيع، عمان، 1989م ، ص 154.
[7] علي محمد محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني و فكرة الجامعة الإسلامية، ص 31.

من بعض المشاكل الداخلية،[1] فمنصب الخلافة سيكون أداة قوية فيكون السلطان هو الرمز و الموجه و الموحد و قد أشار المؤرخ البريطاني أرلوند توينبي في قوله «إن السلطان عبد الحميد كان يهدف من سياسته الإسلامية إلى تجميع مسلمي العالم تحت راية واحدة و هذا لا يعني هجمة مضادة يقوم بها المسلمون ضد هجمة العالم الغربي التي استهدفت عالم المسلمين ».[2]

4-عبد الحميد الثاني و جمال الدين الأفغاني:

دعا عبد الحميد عام 1892م جمال الدين الأفغاني، لزيارة استانبول و الإقامة فيها ضيفا عنده، و قد حفزه على توجيه هذه الدعوة عاملان:

- **أولا:** صدور جريدة العروى الوثقى باللغة العربية في باريس عام 1884م من قبل الأفغاني و الشيخ محمد عبده، و هي تدعو إلى قيام روابط بين أقطار العالم الإسلامي، و التي أتت دورا كبيرا في بلورة محتوى فكرة الجامعة الإسلامية.
- **ثانيا:** اتصال الأفغاني في باريس ببعض أعضاء جمعية تركيا الفتاة و إعجابه ببرنامج الجمعية ، و تشجيع أعضاءها على المضي في حركتهم ، فخشي عبد الحميد أن ينضم جمال الدين إلى هذه الجمعية.[3] استجاب الأفغاني لدعوة عبد الحميد و قد رحب السلطان بقدومه و رفع من منزلته السامية، و بالغ في إعزازه و توقيره، و كان عشاء السيد و غذاؤه بعد كل يوم من المطبخ السلطاني و المائدة الملكية، حيث تقرر له راتب شهري يبلغ مائتي ليرة، و أصبح الأفغاني أقرب المقربين إلى السلطان.[4]و كان من بين الأسباب التي جعلت الأفغاني يستجيب لدعوة السلطان له رغبته في تنسيق دعوته لقيام وحدة إسلامية مع حركة الجامعة الإسلامية التي احتضنها عبد الحميد، و يضع مشروعات إصلاحية في نظام الدولة العثمانية، و من بينها إدخال حكم الشورى فيها .[5]

وتقدم جمال الدين إلى السلطان عبد الحميد الثاني بمشروع تصور عملي لدولة الخلافة اللامركزية ، عرضه على السلطان قال له عن تجديد الخلافة و إدارتها: «يا مولاي إن أجزاء السلطنة أخذت تتفكك الجزء بعد الآخر، فصار من واجب نظم الملك، و أجزاءها بسلك من النظام أوثق و أشد و أحكم... »[6]و لقد كانت مشروعات الأفغاني أكبر بكثير من طموح عبد الحميد الذي لم يكن يأمل في أكثر من الوحدة بين الشعوب الإسلامية، وحدة شعورية و عملية، تكون الخلافة فيها ذات هيبة و قوة، و كان

---

[1] احمد نوري النعيمي، المرجع السابق، ص 123.
[2] علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، 419.
[3] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 503،504.
[4] مبرزا لطف الله خان، المصدر السابق، ص 79.
[5] محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص 66.
[6] محمد عمارة، إحياء الخلافة الإسلامية حقيقة أم خيال، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2005، ص 29.

مشروع الأفغاني يرمي إلى توحيد أهل السنة مع الشيعة بينما نظرة عبد الحميد لا ترمي إلا أكثر من توحيد الحركتين لمواجهة الاستعمار العالمي.[1]

كان جل تفكير الأفغاني إلا في إنهاض البلاد الإسلامية سياسة و تنظيما و إعادة الكرامة و القوة إليها و الربط بين أجزائها و إقصاء النفوذ الأجنبي عامة و النفوذ البريطاني الذي اكتوى بناره في بلاده و في الهند و إيران و في مصر خاصة و طبع نشاطه و كفاحه بطابع السياسة مع بيان مدى الاعيب السلطات الأجنبية و دسائسها و هدفها الذي هدفه بسط النفوذ الأجنبي لصالح الجماعة الأوروبية و ألقى جمال الدين بمركز الثقل في نشاطه على «حرية السياسة» في الشرق الإسلامي للمواطنين جميعا مسلمين و مسيحيين.[2]

وتعددت المقابلات بين عبد الحميد و الأفغاني، و تحدث جمال الدين في أمر الحكم العثماني و يقول جمال الدين عن هذا : « إن السلطان عبد الحميد لو وزن مع أربع نوابغ من رجال العصر لرجحهم ذكاء و دهاء و سياسة خصوصا في تسخير جليسه ... رأيت من السلطان ارتياحا لقبول كل ما ذكرته له من محاسن الحكم الدستوري، و أن الإسلام أول من عمل به في سلطانه...»[3]

ويقصد الحكم الشورى عملا بحكم النص لقوله تعالى :« و أمرهم شورى بينهم».[4]

ثم قال : « و رأيته يعلم دقائق الأمور السياسة و مرامي الدول الغربية و هو معد لكل هوة تطرأ على الملك، مخرجا و سلما... و أعظم ما أدهشني، ما أعده من خفي الوسائل و أمضى العوامل كي لا تتفق أوروبا على عمل خطير في الممالك العثمانية و يريها عينا محسوسا، أن تجزئة السلطنة العثمانية، لا يمكن إلا بخراب يعم الممالك الأوروبية بأسرها ... فقد دفعني غلى مد يدي له فبايعته بالخلافة و الملك عالما علم اليقين أن الممالك الإسلامية في الشرق لا تسلم من شراك أوروبا و لا من السعي وراء إضعافها و تجزئتها و في الأخير ازدرادها، واحدة بعد الأخرى ، إلا بيقظة و انتباه عمومي و انضواء تحت راية الخليفة الأعظم..."[5].

وفي إحدى المجالسات بين السلطان و الأفغاني اقترح جمال الدين عليه أن يقيم نظاما سياسيا على غرار خديوية مصر في ولايات الدولة، و أن تبقى كل خديوية خاضعة للخلافة و يأتمر كل خديوي بأمر السلطان ، و أن تكون الحاميات العسكرية فيها عثمانية تسرع لتلبية الأمر باللحاق بجيوش السلطان ، و أن يكون رعاياه خاضعين للخلافة فسأله السلطان : « و ماذا أبقيت أيها السيد لعرش آل عثمان؟»

---

[1] عيسى الحسن، المرجع السابق، ص 679.
[2] أبو حسن علي الحسني الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية و الفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ط2، دار الندوة للتوزيع، لبنان، 1968م، ص 122، 123.
[3] محمد باشا المخزومي، المصدر السابق، ص 63، 64.
[4] الشورى : الآية، 38.
[5] محمد باشا المخزومي، المصدر السابق، ص63،64.

فأجابه الأفغاني :«يبقى عظمة مولاي السلطان ملك هؤلاء الملوك، فإذا قويت هذه الخديويات سرعان ما تنتظم فارس و أفغانستان و الهند ، ويصبح الإسلام قوة رهيبة يخشى الغرب جانبها و تهدأ ثائرته على الإسلام»، و يقال إن عبد الحميد عرض عليه منصب شيخ الإسلام فاعتذر عن عدم قبوله العرض إلا إذا عدل النظام من أساسه أولا و أصدر الأفغاني جريدة باللغة العربية اسمها« البيان» كانت تنتهج منهاج « العروة الوثقى» و لقيت انتشارا واسعا في تونس و مراكش و العراق، و سوريا و الهند و غيرها من أقاليم العالم الإسلامي.[1]

وأثناء إقامة الأفغاني في استانبول طلب منه السلطان الكف عن مهاجمة ناصر الدين شاه فارس و التشهير به، و كان هذا الشاه قد طرد الأفغاني من فارس بعدما خشي من مشروعه في إصلاح القوانين فاستجاب الأفغاني لذلك لكن عام 1896م تم اغتيال الشاه، فقام خصوم الأفغاني باتهامه بالتحريض بقتله، هذا ما أدى إلى ارتياب السلطان بنوايا الأفغاني.[2] و لقد استفاد السلطان عبد الحميد كثيرا من الأفغاني في الداعية إلى الجامعة الإسلامية رغم الاختلاف في الأفكار و من أسباب الاختلاف:

- إيمان الأفغاني بقضية وحدة المسلمين و تأييده في نفس الوقت للثوار ضد السلطان عبد الحميد من القوميين الأتراك و العثمانيين عامة.
- كذلك دعوة الأفغاني لوحدة الشعوب لمواجهة الدول الأوروبية الراسية إلى تقسيم الدول العثمانية العاملة على انهيارها ، و في نفس الوقت لم يتعرض الأفغاني للاستعمار الفرنسي و لو بكلمة في وقت احتج فيه عبد الحميد إلى مقاومة الفرنسيين في شمال إفريقيا.[3]
- كذلك تنديد جمال الدين بالاستعمار الإنجليزي في حين يذكر عبد الحميد أن المخابرات العثمانية، حصلت على خطة أعدت في الوزارة الخارجية الانجليزية بالاشتراك جمال الدين الأفغاني وبلنت الانجليزي ،[4]و تتمثل هذه الخطة في إقصاء الخلافة عن السلطان عبد الحميد و عن العثمانيين بصفة عامة.
- الخلاف العقائدي الذي ظهر بين العلماء في اسطنبول و بين جمال الدين الأفغاني، و ظهور كتاب السيوف القواطع لمؤلفه الشيخ خليل فوزي الفيليباوي للرد على الأفغاني و إسكاته، و الكتاب كان باللغة العربية و مترجم باللغة التركية،[5] و توترت العلاقة بين الأفغاني و السلطان عبد الحميد الثاني و عم الفتور بينهما و عدم الانسجام حتى أن الأفغاني فقد ثقته في شخص السلطان و خاطبه يوما [6] : « نعم !

---

[1] محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص 27.
[2] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 504، 505.
[3] عيسى الحسن ، المرجع السابق، ص 679، 680.
[4] وبلنت هذا هو سياسي إنجليزي يعمل في وزارة الخارجية الإنجليزية، و مؤلف كتاب « مستقبل الإسلام» و دعا فيه إلى نزع الخلافة من العثمانيين، أنظر عيسى الحسن،المرجع السابق، ص 680.
[5] -عيسى الحسن، المرجع السابق، ص 680.
[6] الغالي غربي ، المرجع السابق، ص 237.

بايعتك بالخلافة إو الخليفة لا يصلح أن يكون غير صادق الوعد.....»[1]،يوما بعد يوم زادت الوحشة بين الأفغاني و السلطان الذي أمر بتشديد الرقابة عليه إذ خاف جمال الدين على حياته ، و عزم على مغادرة استانبول لكن السلطان منعه من السفر لكن عبد الحميد لم ينجح من الاستفادة من مواهب و أفكار الأفغاني كما يجب في دعم حركة الجامعة الإسلامية و النهوض بالدولة و لم شمل المسلمين، و هذا لاستماعه لوشايات و دسائس خصوم الأفغاني، و على رأسهم أبو الهدى الصيادي الذي نال حظوة كبرى عند السلطان عبد الحميد.[2]

مكث الأفغاني في الأستانة حوالي أربعة سنوات ، لم تمر منها دقيقة إلاّ و أفاد فيها و أرشد و وعظ و حذر و أنذر و أدى الأمانة حقها، حتى داهمه داء السرطان في فكه الأسفل، و قيل عملت له ثلاث عمليات جراحية، و تناثرت الشائعات حول موته بأن وفاته نتيجة إهمال كان مقصود.[3]

[1] محمد باشا المخزومي، المصدر السابق، ص 65.
[2] محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص 67، 28.
[3] محمد باشا المخزومي، المصدر السابق ص 67.

المبحث الثالث: وسائل عبد الحميد الثاني لدعم حركة الجامعة الإسلامية

لقد لجأ السلطان عبد الحميد الثاني إلى عدّة وسائل ساهم من خلالها في دعم حركة الجامعة الإسلامية و التي تمثلت في:

1- الطرق الصوفية:

استهدف عبد الحميد الطرق الصوفية لكسب ولائها و الدعوة لفكرة الجامعة الإسلامية و استطاع أن يكون رابطة بين مقر الخلافة اسطنبول و بين مراكز تجمع الطرق الصوفية في كل أنحاء العالم الإسلامي، و اتخذ من حركة التصوف في العالم الإسلامي وسيلة للدعاية للجامعة الإسلامية كما اتخذ من الزهاد من غير المتصوفة وسيلة أيضا للدعوة للجامعة الإسلامية.[1]

وتكونت في عاصمة الخلافة لجنة مركزية مكونة من العلماء و شيوخ الطرق الصوفية حيث عملوا مستشارين للسلطان في شؤون الجامعة الإسلامية و منهم الشيخ أحمد أسعد وكيل الفراشة الشريفة في الحجاز . و الشيخ أبو الهدى الصيادي شيخ الطريقة الرفاعية، و الشيخ محمد ظافر الطرابلسي شيخ الطريقة المدنية... ،و كانت الدولة العثمانية تنتشر فيها هيئات فرعية في كافة الأقاليم الخاضعة لهذه اللجنة خاصة التي كانت في مكة تحت إشراف شريف مكة ،و أخرى في بغداد و قد قدرت أعداد هؤلاء بحوالي 25.000 نسمة و كانت لجنة بغداد تعمل على تهيئة القادمين لحمل فكرة الجامعة الإسلامية و نشرها، و لمقاومة الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا.[2] و للجنة المركزية للجامعة الإسلامية في استانبول فرع إفريقي يعمل في شمال إفريقيا بسرية تامة و مهمته تنسيق العمل بين الجماعات الدينية هناك، و هذه الجماعات هي الشاذلية و القادرية و المدنية و لم تستطع المخابرات الفرنسية أن تكشف وسائل التنظيم للطرق الصوفية التابعة للجامعة الإسلامية في شمال إفريقيا و حالت هذه السلطات ضربها من خلال إغراء شيوخ الطرق الصوفية بالمال و المراكز، و كذلك منع الحجيج من الحج و هذا بعدم إعلان موعد الحج و اتخاذ أسباب صحية لتخويف الناس، مثل نشر أخبار وجود الكوليرا لكن عبد الحميد نجح في جمع الطرق الصوفية إلى صفه.[3] كما أنشأ عبد الحميد مدرسة للوعظ و الإرشاد ليقوم خريجوها بالتبشير بمشروع الجامعة الإسلامية، و تقوية سلطانه بين المسلمين.[4]

---

[1] علي محمد محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد و فكرة الجامعة الإسلامية، ص 36.
[2] عيسى الحسن، المرجع السابق، ص 682.
[3] علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، 424 ،425.
[4] محمد عبد الله عودة و إبراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص 141.

2- تعريب الدولة و استقطاب الشخصيات العربية:

كان السلطان عبد الحميد يرى منذ أن تولى الحكم، ضرورة اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية للدولة العثمانية و يقول في هذا : «اللغة العربية لغة جميلة، ليتنا كنا اتخذناها لغة رسمية للدولة من قبل"، و لقد اقترح عبد الحميد على خير الدين باشا التونسي، عندما كان صدرا أعظم أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية لكن سعيد باشا كبير أمناء القصر اعترض على اقتراحه بحجة أنه إذا تم تعريب الدولة العثمانية لن يبقى للعنصر التركي شيء، كما عارضه أيضا علماء الدين و عدم تعريب الدولة و شعبا بلغة القرآن الكريم و الشرع الحكيم من أكبر الأخطاء التي وقع فيها آل عثمان.[1]

وقام عبد الحميد باستقدام زعماء إسلاميين من شتى أنحاء العالم الإسلامي إلى الأستانة كما كان يحيط نفسه بالفقهاء و رجال الدين،[2] و قد تجاوز عبد الحميد هذا إلى منح كثير من العرب أعلى المناصب في الدولة و منهم أحمد عزت باشا العابد ككاتب ثاني بلغ نفوذه مبلغا فاق الصدارة ، و كذلك شفيق بك المؤيد المفوض في الديون العامة ، و شفيق بك الكوراني رئيس الشرطة ، و عرب حقي باشا، و سليم بك ملحمة و نجيب بك ملحمة و سليمان البستاني و قد بلغوا كلهم رتبة الوزارة و كلهم من سوريا و لبنان، و طالب باشا النقيب و أحمد باشا الزهير و هما من أعضاء مجلس شورى الدولة و هما عراقيان، و فؤاد باشا المصري من مرافقي السلطان ... كما اتخذ عبد الحميد من العرب حرسا خاصا حول قصره و ألبسهم عمائم خضر.[3]

ولم يكتف بهذا بل أنه زوج أميرات البيت المالك من غير الأتراك و رفع أزواجهن إلى رتبة صهر و هم : الشريف علي حيدر، و صالح بك خير الدين باشا التونسي ، و أحمد نامي، كما لم يهمل الأقوام الأخرى فجمع حوله طائفة من الأكراد و الأرناؤوط أمثال إسماعيل باشا الكردي و درويش باشا الألباني.[4]

3- إحياء منصب الخلافة:

كما لجأ عبد الحميد الثاني إلى إحياء الخلافة الإسلامية حتى يلتف المسلمون في جميع أنحاء العالم حوله، بغض النظر عن أجناسهم و قومياتهم و اكتساب الطاعة و الولاء لعرشه، إذ أنه أراد أن يغير

---

[1] علي محمد محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد و فكرة الجامعة الإسلامية، ص 38.
[2] هدى درويش، الإسلاميون و تركيا العثمانية: نموذج الإمام سليمان حلمي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1998م، ص 44.
[3] جمال عبد الهادي محمد مسعود و آخرون، الدولة العثمانية، أخطاء يجب تصحح في التاريخ، ج2، ط1دار الصفاء ، المنصورة، 1995م،ص 52.
[4] محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 746.

مركزه كخليفة بالاسم إلى خليفة بالفعل و يتخذها مركز الخلافة قوة دافعة توصله إلى أغراضه السياسية و حرص أن يقرن اسمه بالألقاب الدينية التي يقرن بها اسم الخليفة مثل: أمير المؤمنين أو خادم الحرمين الشريفين.....وغيرها.[1]

وكان يطيب للسلطان عبد الحميد أن يستخدم العامة و الخاصة بين الشعوب الإسلامية اسم دار الخلاف على عاصمة دولته تعميقا للفكرة الدينية في حركة الجامعة الإسلامية و دعما لها.[2]

و لقد أظهر عبد الحميد مهارة كبيرة في تنفيذ خطته، فأضفى على حياته الخاصة مظهرا من الزهد و التقشف و اهتم اهتماما بالغا بممارسة الشعائر الدينية، و كان من سبقه من السلاطين مستغرقين في اللهو و الشراب و أمر عبد الحميد بقمع كل هذا داخل قصره.[3]

4- مراقبته للمدارس و نظرته للمرأة و سفورها:

عند اعتلاء عبد الحميد كرسي العرش رأى أن المدارس و النظام التعليمي أصبح متأثرا بالفكر الغربي و أن التيار القومي هو التيار السائد في هذه المدارس، فتدخل في توجيهها، من خلال نظرته السياسية إلى الإسلام فقام باستبعاد مادة الأدب و التاريخ العام من البرامج الدراسية لكونها وسيلة من وسائل الأدب الغربي ، و التاريخ القومي للشعوب الأخرى كما قام بوضع دروس الفقه و التفسير و الأخلاق في برامج الدراسة، و كذلك الاقتصاد فقط على تدريس التاريخ الإسلامي بما فيه التاريخ العثماني، كما جعل السلطان عبد الحميد مدارس الدولة تحت رقابته الشخصية و وجهها لخدمة الجامعة الإسلامية.[4]

واهتم عبد الحميد بالمرأة و جعل للفتيات دار للمعلمات و منع اختلاطها بالرجال، و قام أيضا بمحاربة سفور المرأة في الدولة العثمانية، و هاجم تسرب أخلاق الغرب إلى بعض النساء العثمانيات، و كان عبد الحميد يرى أن المرأة لا تتساوى مع الرجل من حيث القوامة، و أن فكرة هذه المساواة إنما تسربت من الغرب ، كما كان عبد الحميد مع تعليم المرأة، و لم يكن للمرأة في عهده رأي في الشؤون السياسية، و إنما دورها في البيت و تربية الأجيال، وكان يعامل المرأة معاملة كريمة و نادرة.[5]

---

[1] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 505.
[2] محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص 60.
[3] جورج أنطونيوس، المرجع السابق، ص 138.
[4] عيسى الحسن، المرجع السابق، ص 684، 685.
[5] علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط ص 426، 427.

5- مدرسة العشائر:

أنشأ السلطان عبد الحميد مدرسة العشائر في اسطنبول باعتبارها مركز الخلافة من أجل تعليم و إعداد أولاد العشائر العربية من حلب و سوريا، و بغداد و البصرة و الموصل، وديار بكر، و طرابلس الغرب، و اليمن و الحجاز، و بنغازي، و القدس و كانت مدة الدراسة فيها خمس سنوات، و هي داخلية تتكفل الدولة بكل مصاريف الطلاب، ولكل طالب إجازة صلة الرحم وهي إجازة مرة كل سنتين، وسفر الطلاب فيها على نفقة الدولة أيضا.[1]

وكان المتخرجون من هذه المدرسة يدخلون المدارس العسكرية العالمية و يحصلون بعد ذلك على الرتب العالمية، و تأسست في بكين عاصمة الصين جامعة أطلق عليها المسلمون اسم دار العلوم الحميدية نسبة إلى السلطان عبد الحميد الثاني، و قد حضر افتتاح هذه الجامعة الآلاف من المسلمين الصينيين و الكثير من علماء المسلمين هناك، و في مراسم الافتتاح ألقيت الخطبة باللغة العربية، و رفع علم الدولة العثمانية على باب هذه الجامعة.[2]

6- خط سكة حديد الحجاز:

عمل السلطان عبد الحميد على كسب ولاء الشعوب الإسلامية عن طريق الاهتمام بكل مؤسساتها الدينية و العلمية و التبرع لها بالأموال و المنح[3]، و أمر بوضع الرسوم و الخرائط للقلاع و الطرق الموجودة هناك، و أمر بترميم المحتاج منها للترميم[4] و دعا عبد الحميد الثاني إلى مد الخطوط الحديدية في الشام التي تربط بين حلب و حمص و حماة و دمشق و بيروت و طرابلس و الموز بربب إلى المدينة المنورة و إلى مكة المكرمة تسهيلا لحجاج بيت الله الحرام[5]، و من أكثر الخطوط إثارة هو إنشاء سكة حديد الحجاز لربط المدينتين المقدستين في شبه الجزيرة العربية بدمشق و كان الهدف الأول المعلن لهذا المشروع هو تسهيل الحج إلى مكة أما في الواقع فقد كان السلطان عبد الحميد يتطلع و يرمي إلى أهداف أخرى،[6] و يقول الأمير شكيب أرسلان عن هذا الخط: «إن هذا الخط جاء من أبدع الخطوط الحديدية في العالم، صادفت مرة فيه أحد كبار مسلمي الهند من أعضاء المجلس الأعلى و هو ممن تثقفوا ثقافة إنجليزية محضة و تخرج من جامعة أكسفورد فقال لي: لا يوجد في نفس إنجلترا سكة حديدية تضاهي في الإتقان هذه السكة و لو لم أشاهدها بعيوني ما صدقت بوجودها. و بالفعل لم يصدق كثير من

---

[1] علي محمد محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد و فكرة الجامعة الاسلامية، ص 41.
[2] علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط ص429.
[3] عيسى الحسن، المرجع السابق، ص 688.
[4] زكريا قورشون، العثمانيون و آل سعود في الأرشيف العثماني(1745-1914م)، ط1، الدار العربية، د.م، 2005م، ص 233.
[5] عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص 22.
[6] روبير مانران، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، تر: بشير السباعي، د.ط، دار الفكر، القاهرة، د.ت، ص 178.

المسلمين أخبارها فأرسلوا وفودا يشاهدونها بأعينهم فكان المسافر يصل من دمشق إلى المدينة في ليلتين و كانت دمشق تستفيد كل سنة من هذا الخط ما يقارب 200 ألف جنيه و عمرت القرى التي مر بها الخط... هذا فضلا عما توفر من المشاق و الأخطار على الحجاج الزائرين و التجار والمسافرين... »[1].

وقد قدم وزير الأشغال العثماني إلى حكومته مشروعا يقضي بمد خط حديدي إلى الأراضي المقدسة عام 1880م ، وقد أدرك عبد الحميد الثاني أهمية المشروع عسكريا لتشديد قبضته على الولايات العربية التي يمر منها الخط وسياسيا لدعم حركة الجامعة السلامية، وقد بدئ بإنشاء الخط عام 1900م في شهر سبتمبر من منطقة المزا ريب إلى منطقة دمشق، و لقد تأخر المشروع بسبب الخوف من البدو، و الخطر الأجنبي الاستعماري، وتم الافتتاح الرسمي لهذا المشروع في سبتمبر 1908م الذي صادف عيد جلوس السلطان عبد الحميد الثاني على العرش، وقد وصل أول قطار إلى المدينة المنورة في 23 آب 1908م، وبالرغم من الصعوبات التي واجهت الحكومة العثمانية من إنشاء الخط و بعده، ولكن السلطنة جندت كل إمكانياتها في سبيل إنجاح المشروع و تنفيذه[2]، وكان هدف عبد الحميد من إنشاء هذا الخط الحديدي كالآتي:

1- لقد رمى عبد الحميد من وراء هذا المشروع إلى أغراض مختلفة كلها لخدم نفوذه و مكانته في العالم الإسلامي و بين العرب، وتعزيز سياسته القائمة على الحكم الفردي المركزي، وهي أغراض دينية و سياسية و عسكرية و اقتصادية، فهو يسهل الحج بتقصير مدة الحج و يجعله في متناول الجميع، فيزداد الاختلاط و التعاون و التآلف بين المسلمين و على نقل أفكاره و انتشارها[3].
2- تسهيل مهمة الدفاع عن الدولة في أي جبهة من الجبهات التي تتعرض للعدوان لأن مد الخطوط الحديدية ساعد على سرعة توزيع القوات العثمانية و إيصالها إلى الجبهات.
3- كذلك ربط أجزاء الدولة المتباعدة مما ساعد على نجاح فكرة الوحدة العثمانية، و الجامعة الإسلامية و السيطرة الكاملة على الولايات التي تتطلب تقوية قبضة الدولة عليها[4].
4- إحكام السيطرة على المدينتين المقدستين لتجنب تحولهما لدولة عربية يمكن حاكمها أن يتخذ لنفسه لقب الخليفة و المشروع نفذ بفضل إسهامات مسلمي العالم كله ونفذ على أيدي مهندسين و فنيين أتراك أساسا،

---

[1] شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم، مر: حسن تميم، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص140.
[2] - ماري نكران سركو، دمشق في فترة السلطان عبد الحميد الثاني، 1793م-1325هـ/1876م-1908م،د.ط،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2010م،ص306.
[3] -محمد عبد الله عودة وآخرون، المرجع السابق، ص165.
[4] -عيسى الحسن، المرجع السابق،ص689.

ويعتبر على المستوى الفني مشروعا ناجحا و تدل سكة حديد الحجاز على قوة تضامن ضخمة في العالم الإسلامي و قد نفذ هذا الخط في زمن قياسي.[1]

وقد حقق مشروع سكة حديد الحجاز نتائج مهمة منها:

1- قربت سكة حديد الحجاز المسافات العربية الشاسعة بين بلاد الشام و الحجاز.

2- فتحت الأعين العربية على وسيلة حديثة للمواصلات هي من أسرع الوسائل القديمة التي كانت متاحة، فساعد ذلك كله على توثيق الروابط الاقتصادية و نقل الأفكار و تبادل الأخبار.

3- كان لهذا المشروع أبرز الأثر في تثبيت مكانة حكم عبد الحميد الثاني و خلافته لعدد من السنين أكثر من تأثير جميع خططه الأخرى.

4- كان لهذا المشروع أهمية لوجستية عسكرية في تعزيز مكانة الدولة العثمانية في منطقة البحر الأحمر و شبه الجزيرة العربية و خصوصا في الخط الممتد بين المدينة و دمشق.

5- أسهم هذا المشروع في تعزيز مصير الحركة العربية، حيث ساعد على إتاحة الفرصة للانفجار ضد الأتراك في ثورة علنية عام 1916م و خلال الحرب العالمية الأولى [2]،لقد خلق المشروع في كافة أنحاء العالم الإسلامي حماسة دينية كبيرة إذ نشر عبد الحميد بيانا يناشدهم في المساهمة بالتبرع لإنشاء هذا الخط، وقد افتتح السلطان قائمة التبرعات بمبلغ خمسين ألفا ذهبا عثمانيا من ماله الخاص، وتقرر دفع مائة ألف ذهب عثماني من صندوق المنافع، و أسست الجمعيات الخيرية[3]، كما تبرع لهذا المشروع شخصيات هامة في الدولة مثل الصدر الأعظم و وزير الحربية حسين باشا، و وزير التجارة و الأشغال ذهني باشا، كما شكلت مصر لجنة الدعاية للمشروع و جمع التبرعات له، كما أسهم في هذه الحملة كل من جريدة المنار و جريده الرائد المصري ...[4] ، و يقول عبد الحميد في مذكراته: «كان إنشاء الخط الحديدي الحجازي أحد أمنياتي منذ زمن بعيد فبدأت هذه الأمنية بالتحقق... لقد نال إعجابي عندما جمع في زمن قصير تبرعات هائلة من المسلمين في شتى أرجاء الأرض و بخاصة مسلمي الهند... لقد أثبت الخط الحديدي الحجازي، أن بلادنا لم تفقد قابليتها للتطور.... سيتم إنشاء الله مد هذا الخط.... و ستربط اسطنبول بالمدينتين المقدستين مكة و المدينة وسنتم من تأمين المواصلات المدنية و العسكرية بكل أمان و اطمئنان».[5]

لقد قام عبد الحميد الثاني بتبني فكرة الجامعة الإسلامية و هذا بغية تحقيق العديد من الأهداف ودعا جمال الدين الأفغاني إلى الإقامة في اسطنبول، وهذا من اجل تحقيق العديد من الأهداف، و التي

---

[1]-روبير مانتران، المرجع السابق، ص178، 179.
[2]-الجميل الميز، المرجع السابق، ص514.
[3]-عيسى الحسن، المرجع السابق، ص689.
[4]-علي محمد محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد وفكرة الجامعة الإسلامية، ص44.
[5]-عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص107، 108.

أهمها القضاء على الحركات الاستقلالية داخل الدولة العثمانية، و كذلك إحياء منصب الخلافية و بهذا يكون عبد الحميد هو أكبر قوة إسلامية في العالم الإسلامي، وقد دفعته العديد من الأسباب لاحتضان حركة الجامعة الإسلامية، و قد دعم هذه الفكرة بعدة وسائل أهمها إحياء منصب الخلافة، و إنشاء مدرسة العشائر ، و كذلك خط سكة حديد الحجاز و الذي يعتبر من أهم الأعمال التي قام بها بالإضافة إلى مراقبة المدارس و كذلك استقطاب الشخصيات العربية، و محاولة تعريب الدولة... و غيرها من العديد من الأعمال، هذا كله من أجل حماية ما تبقى من أجزاء الدولة العثمانية.

الفصل الثالث:

المواقف العربية والأوروبية من حركة الجامعة الإسلامية.

المبحث الأول: الموقف العربي من إنشاء الجامعة الإسلامية.

المبحث الثاني: الموقف الأوروبي من إنشاء الجامعة الإسلامية.

المبحث الثالث: تقييم فكرة الجامعة الإسلامية.

لقد قام السلطان عبد الحميد الثاني بتبني فكرة الجامعة الإسلامية وذلك بدعوة الداعية جمال الدين الأفغاني للإقامة في استانبول وقد قام بإتباع العديد من الوسائل وهذا للترويج للحركة في العالم العربي والإسلامي، ولقد حظيت الفكرة عموما بترحيب من معظم الشعوب الإسلامية، كما كانت خطرا على البعض، خاصة الدول الاستعمارية الأوروبية لأنها ترى فيها خطرا يهدد توسعاتهم وأهدافهم الاستعمارية، وكان انتشار فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية بفضل العديد من العوامل، التي ساعدت على نجاحها وانتشارها كما كانت هناك بعض المعوقات التي أدت بها إلى الفشل وحالت دون ترسيخ جذورها وتحقيق أهداف السلطان عبد الحميد الثاني وذلك بجمع شمل المسلمين تحت راية الإسلام بإنشاء جامعة الوحدة الإسلامية.

المبحث الأول: الموقف العربي من إنشاء الجامعة الإسلامية:

لقد لقت حركة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها السلطان عبد الحميد الثاني سلطان الدولة العثمانية ترحيبا كبيرا من المسلمين، وهذا للدور الذي قامت به الروابط الإسلامية في تحريك الشعور الديني، بعد موجة الغزو الأوروبي التي شهدها العالم الإسلامي إبان تلك الفترة.

1- تأييد اليمن ونجد:

لقد أخذ التأييد الإسلامي والعربي صور وأشكالا عديدة من تأييد أدبي ومادي، وكان من مظاهر التأييد الأدبي برقيات تلقتها حكومة اسطنبول، كان من بينها برقية أرسلها الإمام يحي حميد الدين إمام اليمن، وكان قد تم عقد صلح بينه وبين الدولة العثمانية سنة 1911م، كما أرسل عبد العزيز آل سعود أمير النجد برقية مؤرخة في 05 أكتوبر 1911م، إلى الصدر الأعظم[1]، وتمثل التأييد الأدبي أيضا في مقالات ظهرت في الصحافة العربية الإسلامية تندد بالعدوان البريطاني، وقصائد جادت بها قرائح الشعراء تثير الهمة في نفوس المسلمين وتناشد الأثرياء لمساعدة المجاهدين وتطلب المساعدة لصد الغزاة ، كما ظهرت في شوارع المدن الإسلامية مظاهرات تدعو إلى مناصرة دولة الخلافة، ووصلت أصداء هذه المظاهرات إلى جزيرة موريسوس في المحيط الهندي، ونظم المسلمين هناكمظاهرات شعبية تأييدا للسلطان العثماني خليفة المسلمين، أما التأييد المادي فتعددت وسائله، وكان من بينها جمع التبرعات المالية والعينية للمجاهدين في تلك الولايتين، وتهريب الأسلحة والذخائر إليهم، وتشكيل لجان الإغاثة لمساعدة المنكوبين وإنشاء مستشفيات ميدانية، وإقامة أسواق خيرية خصصت إيراداتها لجمع التبرعات، وتأسست عام 1911م جمعية الهلال المصري برئاسة الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد، وقد شملت حركة مؤازرة المجاهدين في طرابلس الغرب وبرقة كل من مصر والهند وقطر والبحرين[2].

2- تأييد قطر والبحرين:

أما عن قطر والبحرين فقد نشرت صحيفة المؤيد مقال بعنوان "مؤازرة العرب في ولاية قطر والبحرين لإخوانهم المجاهدين في طرابلس"وأشادت فيه بشهامة المسلمين والعرب ووقوفهم إلى جانب الدولة العثمانية في حربها ضد إيطاليا، وكان التأييد لحركة الجامعة الإسلامية بنوعيه الأدبي والمادي،

---

[1]- محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص75،76.
[2]- نفسه، ص76.

وكان تأييدا شعبيا انبثق من الشعوب الإسلامية، ولم يكن تأييد حكومي، لأن الغالبية العظمى من البلاد الإسلامية والعربية كانت وقعت تحت الاستعمار الأوروبي الذي حال بين حكوماتها وبين تقديم مساعدات حربية أو قوات مسلحة إلى طرابلس الغرب وبرقة، وكان موقف الحكومة المصرية التي كانت تأتمر في ذلك الوقت بأوامر "اللورد كتشنر" المعتمد البريطاني في مصر، مثالا صارخا لتعنت الاستعمار الأوروبي حيال الدولة العثمانية، وقنعت الحكومة المصرية بترك الشعب المصري يعبر إلى حد ما عن عاطفته الإسلامية نحو إخوانه المسلمين[1].

ولاقت الدعوة الإسلامية نجاحا كبيرا وعلى الأخص بين الشعوب الذي خضعت للحكم الأوروبي وكانت مهددة به، إذ رأى بعض زعماء الشعوب المحتلة أن يستغلوه فكرة الجامعة الإسلامية للاستعانة بالسلطان الذي هو أمير المؤمنين وخادم الحرمين الشرفيين في سبيل التخلص من العدوان الأوروبي حتى أن الزعيم المصري مصطفى كامل تأثر بهذه الدعوة في مستهل جهاده وكتب يقول[2] "يستحيل علينا أن يطلب واحد منا ملك أجنبيا عنا، فنحن لا نود أن نكون قوة محالفة للدولة العلية، تنصرها وتنصرنا ونعتز بها وتعتز بنا..."[3]، وكتب أيضا يقول "إننا نحب الدولة العثمانية لأننا قبل كل شيء نرى أمة شرقية تصدر منها الأنوار إلى كل الأمة الشرقية، لأننا بصفتنا مسلمين نرى أنها تحمي مسلمي الشرق وتحفظ البلاد الطاهرة المقدسة، فمملكة الخلافة الإسلامية هي الحقيقة مملكتنا وقبلتنا التي إليها نلجأ ونحوها نتجه..."[4]، ومن أشهر دعاة الدولة الجامعة الإسلامية أيضا نذكر عبد الرحمن الكواكبي 1849م – 1920م ومحمد رشيد رضا 1865م-1945م، والشيخ محمد عبده 1849م-1905م.

لقد وجه محمد عبده باعتباره محررا للعروة الوثقى نداءا للعالم لإحياء الرابطة الإسلامية وتدارك الخلاف حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطا لروح حياة الوحدة ودعا العلماء والخطباء والأئمة الوعاظ في جميع أنحاءالأرض للارتباط بعضهم البعض والأخذبأيديالعامة وإصلاحالأمةبرأي محمد عبده " إنما يكون برجوعها إلى قواعد دينها والأخذ بأحكامه على ما كان في بدايته وإرشاد العامة بمواعظه الواقية بتطهير القلوب وتهذيب الأخلاق وإيقاد نيران الغيرة وجمع الكلمة وبيع الأرواح لشرف الأمة "[5]، وأثناء إقامته منفيا ببيروت في ظل حكم السلطان عبد الحميد تحدث في خطاب عام يقول فيه: "افتتح كلامي بالدعاء لأمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين السلطان عبد الحميد خان، فمقام هذا الخليفة الأعظم فينا هو الحفاظ على نظامنا، والمحامي عن مجدنا، والأخذ بميزان القسط بيننا، وهو هادينا إلى

---

[1]- محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص77،78.

[2]- موفق بني مرجة، المرجع السابق، ص111.

[3]- محمد عمارة، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية، نموذج مصطفى كامل، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1994م، ص91.

[4]- موفق بني مرجة، المرجع السابق، ص112.

[5]-محمد الخير عبد القادر، نكبة الامة العربية بسقوط الخلافة العثمانية، دراسة للقضية العربية في 50 عاما ،1875م الى 1925م، ط1، دار التوفيق، د.م، 1985م،ص70،71.

أفضل سبلنا، ... وإني على ضعفي-والحمد لله – مسلم العقيدة، عثماني المشرب، وان كنت عربي اللسان، لا أجد في فرائض الله بعد الإيمان بشرعه والعمل على أصوله فرضا أعظما من احترام مقام الخلافة، و الاستمساك بعصمته، والخضوع لجلالته وشحذ الهمة لنصرته ..." [1].

وبينما كان هناك أنصار ودعاة إلى الجامعة الإسلامية، كان هناك أعداء عرب يرفضون حركة الجامعة الإسلامية أمثال عبد الله النديم الذي يدعوا بدلا منها إلى جامعة شرقية، وكذلك سليم نقلا الذي يرفض أيضا الجامعة الإسلامية ويقدم الجامعة العثمانية، بديلا عنها ولقد كان لشعار الجامعة الإسلامية سحره وجاذبيته مما اضطر خصومه إلى البحث عن شعارات بديلة لهذا الشعار لصرف الأنظار عن الجامعة الإسلامية[2].

[1]-عبد الرحمن البدوي، الإمام محمد عبده والقضايا السلامية، د.ط، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2005م، 113،114.
[2]- موفق بني مرجة، المرجع السابق، ص131.

المبحث الثاني: الموقف الأوروبي من إنشاء الجامعة الإسلامية:

لقد أثارت دعوة السلطان عبد الحميد الثاني إلى إنشاء جامعة إسلامية مخاوف بعض الدول الأوروبية وأثارت هيجاتها وسخطها وحاولت إفشالها وإحباطها لأنها كانت تهدد مصالحها عكس بعض الدول والتي استفادت من هذه الحركة لأنها رأت فيها ما يخدم مصالحها .

1- الإمبراطورية الألمانية وفكرة الجامعة الإسلامية:

حظيت زيارة القيصر الألماني " فيلهم الثاني " للدولة العثمانية بتأييد السلطان والإسلام بشكل عام إذ لم تكن تعاني ألمانيا من وصمة الاحتلال للبلاد العثمانية لذلك فإن مصداقيتها كانت قوية بين رعايا دولة المسلمين، ولقد أثار هذا التقارب في العلاقات الألمانية العثمانية حفيظة دول الحلفاء حيث يبدوا ذلك جليا من خلال أرشيف الصحافة البريطانية التي حملت القيصر الألماني فكرة الجامعة الإسلامية وذلك في سبيل حصوله على التأييد في حال اندلاع حرب معها من خلال الإعلان عن الجهاد من قبل خليفة المسلمين العثماني بما يساهم في تفويض ولاء المسلمين لحكامهم البريطانيين أو الفرنسيين[1].

وقد ألقى فيلهم خطبة مثيرة في دمشق جاء فيها تصريحه العلني بأن السلطان عبد الحميد هو خليفة العالم الإسلامي بما كان يضمه هذا العالم وقت ذاك من ثلاثمائة مليون مسلم [2]، كما قامت ألمانيا بمحاولة تقارب عثماني - مغربي- واستغلت محاولة إحياء الجامعة الإسلامية بين السلطنة العثمانية والمغرب الأقصى وهذا نتيجة لظروف مشتركة في مواجهة هجوم الاستعمار، وهذا بهدف إثارة مخاوف فرنسا وتأثير الجامعة الإسلامية على التوازن الأوروبي، وقد قامت ألمانيا بهذا تكتيكيا تبعا لمصالحها الاستعمارية وتنافسها مع فرنسا ولم تكن أبدا إستراتيجية ألمانيا للتحالف مع الإسلام، أما السلطان عبد الحميد فقد وجه عنايته إلى الشمال الإفريقي، خصوصا بعد سقوط تونس بيد فرنسا، وتطلع بريطانيا لابتلاع المغرب وليبيا، وكذلك العمل على تمتين روابط الجامعة الإسلامية في عصر السلطان المغربي الحسن الأول 1873-1894م[3].

2- موقف بريطانيا اتجاه إنشاء الجامعة الإسلامية:

كان " كرومر" هو أول من ألب أوروبا والعالم العربي على الجامعة الإسلامية، فقد كان الاحتلال البريطاني لمصر 1882م، وقدوم "كرومر" إلى مصر 1883م، واستمر ممثلا لبريطانيا وحاكم فعلي

---

[1] فرح قيصر، السلطان عبد الحميد الثاني والعالم الإسلامي، تر: محمد أرناؤوط د: ط ،دار الجداول، د.م ، 2008، ص212.
[2] محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص73.
[3] عبد الرؤوف سنو، الدبلوماسية الألمانية ومحاولات إحياء الجامعة الإسلامية بين السلطنة العثمانية والمغرب الأقصى 1870-1890، حوليات بيروت،1992م، ص123،124.

حتى عام 1907م، عاملا هاما في رسم هذه السياسة، فقد بثت إنجلترا وفرنسا الدعوة في أوروبا للفزع من الجامعة الإسلامية، ورسمت مختلف الخطط لمقاومتها، وفي مقدمتها التبشير، والدعوات الإقليمية الضيقة ومحاربة اللغة العربية وغيرها[1]، فإن كل الوسائل كانت التبشير وبقول القرآن الكريم " ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم"[2]، وقوله تعالى: "ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردونكم عن دينكم إن استطاعوا"[3].

وبالرغم من أن في مصر كان السادات يشجعون تيار الجامعة الإسلامية[4]، وقد حرص "كرومر" على أن يتحدث في تقاريره السنوية عن الجامعة الإسلامية ببغض شديد، وفي نفس الوقت نشرت جريدة الأهرام تصريحات مثيرة لوزير فرنسي "هانوتو" هاجم فيها الجامعة الإسلامية[5]، ولقد أطلقت أوروبا عدة تسميات على السلطان العثماني مثل: المريض الذي لا يرجى شفائه، ورجل أوروبا المريض[6]، وقد رأت أوروبا أن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني استطاع استغلال المشاعر الدينية عند رعاياه خاصة وعد المسلمين عامة، وبواسطة هذا الاستغلال يستطيع أن يهدد النفوذ الأوروبي ليس في المناطق العثمانية فحسب وإنما أيضا في المناطق الإسلامية الخاضعة مباشرة للحكومات الأوروبية وبالفعل فقد هدد السلطان الدول الأوروبية بنصرة العالم الإسلامي لمنصب الخلافة، فالمسلمون في ألبانيا يهدد بهم النمسا، والمسلمون التتار والأكراد يهدد بهم روسيا، والمسلمون في الهند يهدد بهم إنجلترا، والمسلمون العرب يهدد بهم فرنسا[7]، وبالفعل فقد قام المسلمون في الهند بمطالبة الحكومة البريطانية بأن تكف عن سياستها المعادية، وقال أحد الزعماء المسلمين في الهند مخاطبا الدولة البريطانية "إننا نناشدي الحكومة البريطانية سواء أفرادها أن تقلع عن سياستها العدائية لتركيا إتقاء لانفجار بركان المئات من المسلمين انفجارا يجر الأمة عظيما[8] ".

---

[1]- أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، ط 2، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1884م، ص178،179.

[2]- سورة البقرة: الآية، 120.

[3]- سورة البقرة: الآية، 217.

[4]- يوسف القرضاوي، الإسلام والعلمانية وجها لوجه، ط2، مطبعة المدني، مصر، 1997م، ص197.

[5]- أنور الجندي، المرجع السابق، ص179.

[6]- عمر عبد العزيز عمر، محاضرات تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2001م، ص117.

[7]- حسان علي حلاق، دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش، 1908م-1909م، د.ط، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص128.

[8]- ستودارد لوثروب، حاضر العالم الإسلامي، تر: عجاج نويهض، تحقيق: شكيب أرسلان، ج1، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ص313.

المبحث الثالث: تقييم فكرة الجامعة الإسلامية:

1- مدى نجاح حركة الجامعة الإسلامية:

لقيت حركة الجامعة الإسلامية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني نجاحا تأرجح بين القوة والضعف[1]، وكان لها صدى كبير في شتى أقطار العالم الإسلامي وبين المسلمين على كافة مستوياتهم الثقافية وكان هذا لعدة أسباب هي:

1- أثر دعوة جمال الدين الذي تجول داعيا من أفغانستان إلى الهند إلى مصر إلى الأستانة، وإصداره مجلة العروة الوثقى التي كانت توزع على الأقطار الإسلامية.

2- تبني المسلمين حملة الدعوة للجامعة الإسلامية لمقاومة الاستعمار الغربي المتكالب على السيطرة على الأقطار الإسلامية، لهذا كان المسلمون يرون أن خلاصهم هو بنجاح قيام الجامعة الإسلامية وبالتالي وحدة المسلمين[2].

3- أثر الدعوة الوهابية في إذكاء روح الجهاد والرجوع إلى الإسلام والدفاع عن ديارة[3].

4- تقدم وسائل النقل والاتصال بين العالم الإسلامي، وانتشار الحركة الصحفية في كل من مصر وتركيا والجزائر والهند وفارس وأواسط أسيا...، وكانت الصحف تعالج موضوع الاستعمار وأطماع الدول الأوروبية في العالم الإسلامي، وتنشر أخبار الأوروبيين المتكررة في الهجوم على ديار الإسلام، فتتأثر قلوبهم، وتهيج نفوسهم وتتفاعل مشاعر وعواطف المسلمين مع إخوانهم المنكوبين[4].

5- جهود العلماء ودعواتهم بضرورة إحياء مجد الإسلام، والدعوة إلى وحدة الصف وبهذا ازداد الشعور بخطر العدوان الغربي على الشعوب الإسلامية، الذي زادها ارتباطا وتماسكا[5].

6- بالإضافة إلى مؤشرات العلماء والمسلمين لدعمها، وصدور بعض المجلات التي تدعو لفكرة الجامعة الإسلامية منها سبيل الرشاد في اسطنبول والعالم الإسلامي في القاهرة، وكثرة المفكرون المسلمين المؤيدين لها مثل "محمد عبده، وعبد القادر الجزائري، محمد كرد علي، محمد بيرم التونسي، قاسم أمين..."[6]

7- وهناك أسباب اقتصادية هامة جعلت فكرة الجامعة الإسلامية أقرب إلى قلوب المسلمين وهي أن الغزو السياسي الأوروبي للعالم الإسلامي كان يسبقه ثم يسير معه التحكم الاقتصادي فتدفقت على

---

[1]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص508.
[2]- جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق، ص 161.
[3]- محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص141.
[4]- علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية ص50،51.
[5]- عيسى الحسن، المرجع السابق، ص693،694.
[6]- محمد عبد الله عودةوإبراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص141.

هذا العالم رؤوس الأموال الأجنبية في صور شتى منها القروض التي تمنح للأمراء والحكام الامتيازات التي يحصل عليها هؤلاء الأجانب، حتى كبلت معظم الدول الإسلامية بالديون ومن ثم استطاع الاستعمار أن يمهد لسيطرته السياسية، وقد استيقظت معظم الشعوب الإسلامية بخطر التزاحم الغربي الاقتصادي على بلادهم، ودعت إلى التضامن وقام فريق يطالب الجامعة الإسلامية الاقتصادية لتكون ثروة المسلمين للمسلمين[1]، ومن مظاهر نجاح حركة الجامعة الإسلامية في عهد عبد الحميد الثاني نذكر ما يلي:

- تنافس الدول الأوروبية الكبرى على الاستعمار في الشرق، وحدوث سلسلة من الاعتداءات على الشعوب الإسلامية العربية ، فاحتلت فرنسا تونس وبريطانيا مصر كما توغل الاستعمار الأوروبي في بلاد أفريقيا كالسودان ونيجيريا...، وأبدت هذه الدول خاصة فرنسا وبريطانيا تخوفها من أن يكون هذا النشاط الإسلامي أثر كبير في تطور الأحداث في الولايات العربية التي تحتلها خاصة في مصر وشمال أفريقيا.
- توقف الزحف الاستعماري الأوروبي العسكري على الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية، بعد احتلال بريطانيا لمصر عام 1882م، وحتى نهاية حكم السلطان عبد الحميد الثاني[2].
- كما يقاس مدى نجاح مدى حركة الجامعة الإسلامية بالاهتمام الواسع النطاق في كافة أنحاء العالم الإسلامي بأنباء الحرب العثمانية التي نشبت عام 1897م، فقد أقيمت احتفالات في نطاق واسع في العالم الإسلامي، خارج نطاق الدولة العثمانية، ابتهاجا بالانتصارات العثمانية، ونظر إليها على أنها انتصار للإسلام، وتجسيد لقوته، وعمت في الشعوب الإسلامية الثقة للتخلص من السيطرة الأوروبية المسيحية، فبعد هذه الاحتفالات قامت الجماهير الإسلامية في الهند، واندونيسيا، وتركستان، مدغشقر، وبلاد الجزائر... بانتفاضات وإضرابات تطالب بالتحرر من الحكم الأوروبي المسيحي الذي سيطر عليها[3].
- شكلت حركة الجامعة الإسلامية عامل دعم لموقف السلطان عبد الحميد الثاني باعتباره ممثل المسلمين، ورافع لواء الجامعة، وايقظت الشعور الإسلامي وحثت المسلمين بأن الوقت قد حان لإقامة جامعة إسلامية توحدهم لمواجهة الغزو الأوروبي وهم كالبنيان المرصوص، وقد أدركت أوروبا أن عبد الحميد يستطيع استغلال المشاعر الدينية عند رعاياه خاصة، والمسلمين عامة، وبهذا استطاع أن يهدد النفوذ الأوروبي في المناطق العثمانية والمناطق الإسلامية الخاضعة للسيطرة الأوروبية، وكان ذلك فعلا فقد بدأ السلطان يهدد هذه الدول

[1]- موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص113.
[2]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص509،510.
[3]- عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص72.

الأوروبية مستغلا حركة الجامعة الإسلامية، فهدد النمسا بواسطة مسلمي ألبانيا، وروسيا بواسطة مسلمي التتار والأكراد، وبريطانيا بواسطة مسلمي الهند، وفرنسا بواسطة مسلمي المغرب.

- ولقد أثير على بساط البحث في مؤتمر إسطنبول الذي عقد عام 1882م ببحث تطورات الثورة العرابية، موضوع إرسال قوات عثمانية إلى مصر لتهدئة الوضع فيها، وقد اعترض الوفد الفرنسي على هذا خشية ازدياد النفوذ الإسلامي في شمالي أفريقيا ودعم حركة الجامعة الإسلامية مما يؤدي إلى إضعاف مركز فرنسا فيها[1].
- وسيطرت العاطفة الدينية على المسلمين، وأصبح الدين والوطنية توأمان وتعلق الناس بالفكرة الإسلامية، وأمدوا الدولة العثمانية بالمال والرجال، على اعتبار أنها دولة إسلامية، وأن جيشها جيش مسلم وانتصاره بهم جميع المسلمين[2]، ويقول المؤرخ الإنجليزي الأستاذ "جب هاملتون: " إن المثل الأعلى للفكرة التي قامت عليها حركة الجامعة الإسلامية كان مغريا جدا، واستطاعت هذه الحركة أن توقظ شعورا يعطف عليها في كل جزء من أجزاء العالم الإسلامي، وكان من نتائجها إيقاظ الشعور بالوحدة الإسلامية من جديد وتقويته إلى حد لم يسبق له مثيل[3].
- ولقد حذر قنصل فرنسا العام "روستان" حكومته من خطر حركة الجامعة الإسلامية على فرنسا، وأبدى تخوفه من نشاط مبعوثي السلطان عبد الحميد في برقة وطرابلس ومن أن يكون لهذا النشاط أثرا على سير الحوادث في تونس، كما أن يكون لصدى حركة الجامعة الإسلامية خطرا على مركز الفرنسيين في الجزائر أيضا[4].
- مساندة ألمانيا بقيادة الإمبراطور ولهم الثاني لحركة الجامعة الإسلامية بالرغم من أن هدف ألمانيا آنذاك هو الحصول على مركز متميز لدى الدولة العثمانية بهدف الزحف نحو الشرق[5]، وبعد زيارة الإمبراطور السلطان عبد الحميد القسطنطينية اتجه إلى القدس ومنها إلى دمشق، وكان من خلال هذه الزيارة يبذل أقصى جهده في أن يظهر شعوره الطيب نحو السلطان ومودته للإسلام وللخليفة، واعترف بهذا في خطبة ألقاها بدمشق: "فليطمئن صاحب الجلالة السلطان، وليطمئن معه الثلاثمائة مليون من المسلمين الذين يجلونه لأنه الخليفة إلى أنهم سيجدون في إمبراطور ألمانيا الصديق الدائم لهم"، ثم اتجه إلى قبر صلاح الدين، ووضع

---

[1]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص509.
[2]- محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص142.
[3]- عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص84.
[4]- نفسه، ص7.
[5]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص510.

عليه إكليل زهور، وأمر بصنع مصباح من الفضة للضريح هدية شخصية منه بوصفه أحد المعجبين بالبطل المسلم، وكانت كل هذه الأحداث تذاع وتنشر في أوسع نطاق، وعاد القيصر إلى برلين يحف به التمجيد والثناء الذي وصفته به صحافة العالم الإسلامي[1]، وهذا الاعتراف له وزنه السياسي لأنه صدر عن إمبراطور أقوى دولة في أوروبا في ذلك الوقت وقد رحب عبد الحميد بهذا الاعتراف، وتباهى به من أجل استغلاله في الدعوة لنفسه وفي ترسيخ ونشر حركة الجامعة الإسلامية[2].

- ومن مظاهر نجاح حركة الجامعة الإسلامية، شعور الأوروبيون بخطر سياسة عبد الحميد الإسلامية، فإعتبرى لها العديد من الأوروبيين المتعصبين والمعاديين كاللورد "كرومر" والسيد "هانوتو" وهاجموا الجامعة الإسلامية، واعتبروها بؤرة التعصب الديني وأن القصد منها تحدي قوات الدول الأوروبية، ودعوا الأمم الأوروبية إلى مراقبة هذه الدعوة والحذر منها والإجهاز عليها[3]،وكانت الدول الأوروبية تنظر إلى الزائر المسلم إلى إسطنبول من خارج الدولة العثمانية وإلى كل زائر عثماني للمسلمين في ممتلكات هذه الدول الأوروبية إلى أنه جاسوس خطير يهدد سلامة هذه الممتلكات، وأكثر ما كانت فرنسا وبريطانيا تخشيان من حركة الجامعة الإسلامية أن تقوم ألمانيا بمعاكستهما لأن ألمانيا لم يكن في مستعمراتها جماعات من المسلمين على عكس بريطانيا وفرنسا[4].

2- تعثر حركة الجامعة الإسلامية:

لقد واجهت العديد من العقبات حركة الجامعة الإسلامية وأعاقت نشاطها وتقدمها، وحالت دون ترسيخ جذورها وتحقيق جميع أهدافها وتتمثل هذه العوامل في:

1- كان العالم الإسلامي يمر آنذاك بحالة تخلف وتفسخ وجهالة وركود، وكان من الصعوبة والاستحالة، أن يجتمع قاداته وزعماؤه على كلمة واحدة للوقوف في صف واحد أمام الأطماع والتوسعات الاستعمارية الأوروبية، بالإضافة إلى النزاعات الشخصية والإقليمية، والأحقاد والخلافات الطائفية[5].

2- بالرغم من تطور وسائل الإعلام في ذلك الوقت، إلا أنه لم تكن قد عرفت وسائل الإعلام التي تصل إلى كل منطقة ومدينة وبيت، ولم يكن بمقدور الوعاظ والمرشدين الذين يرسلهم السلطان

---

[1]- جورج انطونيوس، المرجع السابق، ص146،147.
[2]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص510.
[3]- محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص142.
[4]- عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص74.
[5]- عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص79.

إلى أرجاء العالم الإسلامي أن يصلوا إلى جميع هذه التجمعات الشعبية الإسلامية المنتشرة في آسيا وأفريقيا[1].

3- كانت الفكرة الإسلامية هي الفكرة السائدة بين الشعوب العربية والإسلامية ولم تكن الفكرة القومية أو الوطنية تفرض وجودها، ولذلك لم يأنف المسلمون العرب أو الفرس أو الهنود من أن يحكمهم حكاما أتراك طالما كانوا مسلمين، ولهذا لم يتحمس المسلمون بصفة عامة للفكرة بسبب سلبيات الحكم العثماني في المنطقة العربية[2].

4- كما كانت قبضة الدول الاستعمارية الأوروبية على الأقاليم الإسلامية الخاضعة لها قوية، بحيث لم تكن تسمح بحركات سياسية مناهضة لها، أو حتى ازدهار تيارات فكرية تشجع هذا الاتجاه الوحدوي، حيث أن بريطانيا ضيقت الخناق على جريدة العروة، والتي كانت من أبرز المجلات الشهرية الإسلامية التي قام بإصدارها كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في باريس 1884م والتي صدر منها إلا 18 عددا، وقد منعت الحكومة البريطانية دخولها إلى مصر والهند[3]، وكذلك جريدة الفاروق الجزائرية بقيادة السيد عمر بن قدور الجزائري والتي تصدت للاستعمار الفرنسي بمقال كتبه توفيق المدني، كان من نتيجته أن حكم عليه بالسجن في زنزانة ضيقة من طرف الاستعمار الفرنسي[4].

5- بروز دعوات رافضة لحركة الجامعة الإسلامية كفكرة دينية، خاصة في العالم العربي وفي تركيا، وحتى في أوروبا[5]، وسعت هذه القطاعات إلى تأكيد الروح الوطنية وعدم التحمس لفكرة الجامعة الإسلامية، مثل حزب الأمة المصري الذي أخذ يروج لفكرة القومية المصرية، وكذلك جبل لبنان من الموارنة والدروز، هذا إلى جانب المسيحيين الأقباط في مصر الذين نادوا بالقومية الفرعونية ردا على فكرة الجامعة الإسلامية، وسعوا إلى إحياء اللغة القبطية، لأنها في رأيهم لغة البلاد المصرية ولغة العبادة المسيحية ولغة المدنية القديمة والجديدة[6].

6- تحول حركة الجامعة الإسلامية إلى عصارة ثورة أنتجت اتجاهات ثورية إسلامية تجاذبتها الأوضاع المحلية والدولية، وكذلك غياب الحريات السياسية في الوطن العربي والعالم الإسلامي، وسيطرت الغرائز على المباشرين على الحركة، وكذلك القصور الكلي في تحويل مبادئ الحركة إلى قيم اجتماعية جديدة صالحة على قيادة الإنسان وتغييره[7].

---

[1]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص511.
[2]- رافت الشيخ، المرجع السابق، ص254.
[3]- عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص79.
[4]- أنور الجندي، تاريخ الصحافة الإسلامية، ج1، مجلة المنار-رشيد رضا، د.ط، دار الأنصار، د.م، د.ت، ص213.
[5]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص511.
[6]- رافت الشيخ، المرجع السابق، ص205.
[7]- عمار جيدل، نقد مسالك المسلمين في التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، دراسات مالك بن نبي والمشروع الحضاري، ع20، 2003م، ص2.

7- عمل الاستعمار الأوروبي خاصة الإنجليزي والفرنسي والروسي على عدم تحقيق فكرة الجامعة الإسلامية، لأن الفكرة من أهدافها مواجهة الأطماع الاستعمارية الأوروبية ولأن الدول الأوروبية وخاصة بعد مؤتمر برلين عام 1878م، قد بدأت سياسة تقطيع أجزاء الإمبراطورية العثمانية وتحقيق الأطماع الاستعمارية في الأقطار العربية والإسلامية.

8- موقف السلطان عبد الحميد الثاني الذي أراد استخدام فكرة الجامعة الإسلامية لتحقيق أغراضه وهو لم يعمل على وضعها موضع التنفيذ، فعلى سبيل المثال لم يحقق مبدأ تحرر المسلمين من استبداد الحكام، ولم يحقق مبدأ تحرر المسلمين من التخلف والبدع ولم يحقق مبدأ الحكم الدستوري، ولم يحقق الحكم العصري مثل المجتمعات الناهضة في أوروبا، وبهذا انصرف بعض الناس عن فكرة الجامعة الإسلامية، رغم تعلق بعض المثقفين بها أمثال زعامة الحزب الوطني في مصر، وكان هذا التعلق بهدف ضرب الاستعمار البريطاني استنادا إلى الوحدة الإسلامية بزعامة الخلافة العثمانية[1].

3- انقضاء حركة الجامعة الإسلامية:

بينما كانت حركة الجامعة الإسلامية تواجه العديد من العقبات التي أدت بتعثرها، ومن ثم إلى انقضائها ومن أبرز هذه العوامل التي أدت إلى نهاية وانقضاء حركة الجامعة الإسلامية نذكر:

- **العامل الأول:** الحركة الطورانية في تركيا التي تعصب لها أعضاء جمعية الاتحاد والترقي واتخذوها دعامة من دعائم سياستهم بعد أن انتهى إليهم حكم الدولة العثمانية، وقد استمدت هذه الحركة أسسها من تجديد انتساب الشعب التركي العثماني إلى أصول طورانية[2]، فأدى ذلك إلى الاعتقاد بأن السبيل لبعث الجنس التركي هي في اتحاده من جديد بالشعوب، التي تمد إليه بصلة القربى من السلالة الطورانية وكان أكثر هذه الشعوب تحت الحكم الرومي، بالرغم من أن الاتحاديين لم يعتنقوا عقيدة الوحدة الطورانية الشاملة، بكل ما ينتج عنها من مشكلات تحرير تلك الشعوب وضمنها، وقد أثرت حركة الطورانية في الاتحاديين والشعب التركي العثماني تأثيرا قويا، وانتشرت الدعوة إلى تمجيد العنصرية التركية وإبرازها لرابطة القربى بين الأتراك العثمانيين في الدولة العثمانية وكذلك إخوانهم في الجنس في آسيا الصغرى، وأصبح الرأي الشائع لدى العثمانيين هو أن الحركة الطورانية هي الملاذ الوحيد لخلاصهم واستقرارهم[3].

---

[1]- رافت الشيخ، المرجع السابق، ص205.
[2]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص511.
[3]- جورج أنطونيوس، المرجع السابق، ص182.

ولقد استهدفت الحركة الطورانية إحياء مجد الأتراك الأوائل وإحياء التراث الحضاري التركي الأصيل، وتخليص الفكر التركي العثماني من المؤثرات الخارجية التي دخلت عليه، ولا سيما المؤثرات الفارسية العربية، وقد لقيت حركة الطورانية ترحيبا عاما، وأصبحت لفظة طوران من أكثر الألفاظ احتراما وشعبية، ومن أسمى معاني القومية التركية وخصصت جريدة طنين صفحة ادبية تحت عنوان "مذكرات طوراني"، وأصبحت المطاعم والمحلات تحمل هذا الإسم، ولم يكتم كثير من الأتراك العثمانيين حقدهم على بقية القوميات الأخرى الداخلية في الدولة، خاصة القومية العربية، واشتدت قبضة الاتحاديين على الولايات العربية، خاصة بعد حركة التتريك وهذا بجعل اللغة التركية هي اللغة الرسمية في المحاكم والمدارس والدواوين الإقليمية[1].

لكن رجال جمعية الاتحاد والترقي لم يكونوا أكفاء بحمل الرسالة التي ندبوا أنفسهم لها وكان أول خطأ وقعوا فيه أنهم لم يستطيعوا إدراك الخلل الخطير فيما ورد في دستور مدحت باشا عن القضية العنصرية، فقد تخلوا عن مبدأ المساواة وألقوه جانبا ولجئوا لتحقيق أهدافهم إلى استعمال أساليب كانت أحيانا استفزازية دلت على حمقهم وغبائهم لترجيح المصلحة التركية والإضرار بإخوانهم العثمانيين، وحكم الدولة على أساس السيادة الجنسية للعنصر التركي[2].

وبدت للعرب حقيقتان أولا أن الأتراك العثمانيين قد قطعوا صلاتهم باللغة العربية والتاريخ الإسلامي والتراث العربي للتعلق بتاريخ الأتراك العثمانيين وتراثهم القديم، وثانيا أن الحركة الطورانية ليست إلا دعوة سافرة لسيادة الجنس التركي في الدولة، وكبت وطمس النزاعات القومية المتعددة في الدولة، فكانت هذه الحركة الطورانية من أهم أسباب انصراف رعايا الدولة العرب المسلمين والألبان، عن حركة الجامعة الإسلامية التي كان يدعوا لها عبد الحميد الثاني[3].

- **العامل الثاني:** قدمت بريطانيا منذ سنة 1915م الوعود إلى الحسين بن علي أمير مكة وشريفها بتوحيد البلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية في شرق آسيا واستقلالها وإقامة خلافة عربية من بيت عربي في مقابل إعلانه الثورة على الدولة العثمانية، وانساق الشريف وراء هذه الوعود، ونجح في تحريك ثورة عربية وعلى الرغم من أن بريطانيا خرجت منتصرة هي وحلفائها من الحرب العالمية الأولى، إلا أنها نكثت بوعودها وعملت على تفتيت العالم العربي بإقامة كيانات سياسية في شرق آسيا، ووضعت بعضها تحت الانتداب البريطاني والبعض الأخر تحت الانتداب

[1]- عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص80.
[2]- جورج أنطونيوس، المرجع السابق، ص181.
[3]- محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص81.

الفرنسي، وأبقت على ممتلكاتها الإسلامية التي كانت لها قبل الحرب، فجاء تصرفها هذا قاضيا على حركة الجامعة الإسلامية، وإن اختفاء السلطان عبد الحميد من حياة الدولة بعد عزله قد حرم حركة الجامعة الإسلامية من قيادته الواعية الدافعة لها في مسيرتها فإن شخصيته ونظام الخلافة مقرونا بالسلطة مع الاهتمام بلقب خليفة وإسم دار الخلافة على إسطنبول والأستانة، كل هذا جعله موضع تقدير وإجلال بين الغالبية العظمى من الجماهير الإسلامية من رعاياه وخارج حدود الدولة[1].

ولقب الخلافة عنصر هام من عناصر حركة الجامعة الإسلامية، وقد تطلع لها بعض الحكام المسلمين بعد أن ألغاها كمال أتاتورك سنة 1924م، ومن بين هؤلاء الحكام الحسين ابن علي ملك الحجاز سابقا، وأحمد فؤاد الأول ملك مصر وأغا خان زعيم الطائفة الإسماعيلية بالهند، غير أن تطلع هؤلاء الحكام إلى الخلافة كان ينبثق عن مجرد نزعة شخصية، ولم تأت تطلعاتهم إليها نتيجة حركة شعبية ولذلك لم يقدر لأي منهم النجاح[2].

- **العامل الثالث:** دور الدول الأجنبية الاستعمارية في التآمر على سياسة السلطان عبد الحميد الثاني سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة حيث إن الدول الأوروبية روسيا والنمسا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا كانت تنزعج من دعوة السلطان عبد الحميد إلى الجامعة الإسلامية وانشغاله بها وسعيه إلى تحقيقها وتؤرقها وتقض مضاجعها لأنها لم تكن تخاف شيئا أكثر من يقظة الإسلام وتحريك المسلمين[3]. وكذلك موقف المعارضة الشديدة لحركة الجامعة الإسلامية والذي اتخذه المسيحيون العرب في الولايات العربية في الدولة العثمانية، إذ خشوا أن تتهدد الأخطار كيانهم إذ قامت وحدة سياسية كبيرة تزداد فيها ضالتهم العددية وسط أكثرية إسلامية ساحقة. فتهضم حقوقهم، وعلى أساس هذه المخاوف نادى المسيحيون العرب إلى حركة القومية العربية كبديل لحركة الجامعة الإسلامية، وقاموا بدور بارز في دعم حركة القومية العربية[4]، ومنذ سنة 1864م وما بعدها أصبحت اللغة التركية هي اللغة الرسمية للحكومة، تفرض على نطاق واسع في بلاد الشام، بسبب ازدياد الميل إلى سياسة المركزية الضيقة في الدولة العثمانية، فقد كان كبار الموظفين جميعا من الأتراك وكان أكثرهم يجهلون اللغة العربية جهلا تاما، وكانت الشؤون الإدارية في المحاكم والدوائر الحكومية العامة الرئيسية تجرى باللغة التركية[5]، وثم مضت حكومة الاتحاديين في

---

[1]- محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص81.
[2]- نفسه، ص81،82.
[3]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص198.
[4]- محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص82.
[5]- جورج أنطوانيوس، المرجع السابق، ص159.

مطاردة اللغة العربية ولم تجد هذه اللغة لها ملجأ سوى مراكز الإرساليات التنصيرية في بلاد الشام حيث كثرة هذه المراكز بسبب كثرة الطوائف المسيحية فيها وتعددها[1].

ثم انتقلت حركة القومية العربية من طورها الأدبي إلى طور العمل السياسي ويلاحظ أن حركة القومية العربية كانت قد بدأت طفلا وليدا يحبو سنة 1875م،، أي قبل ارتقاء عبد الحميد الثاني العرش تقريبا حوالي سنة، وقبل أن تظهر حركة الجامعة الإسلامية، ففي تلك السنة تكونت جمعية بيروت السرية، ألفها خمسة شبان عرب كانوا جميعا من المسيحيين ومن خريجي الكلية البروتستانتية السورية ببيروت، ولم يمر الوقت حتى أدرك هؤلاء الشبان أن نجاحهم يجب أن يكون بالتعاون مع المسلمين، فلجأوا إلى ادخال بعض الوجهاء المسلمين في المحافل الماسونية في بيروت[2].

فاستطاعوا أن يضموا إلى الجمعية نحو اثنين وعشرين شخصا ينتمون إلى مختلف الطوائف الدينية ويمثلون الصفوة المختارة المستنيرة في البلاد ولقد ألصق منشور في ليلة 31 من شهر ديسمبر سنة 1880م، ويعتبر أول بيان مدون عن برنامج العرب السياسي والذي ندد بالحكام الأتراك ، ووصف انتحال السلطان للخلافة بأنه اغتصاب لحق العرب، ثم حدد هذا المنشور برنامج الجمعية[3]، والذي كان يتمثل في:

1- منح الاستقلال لسوريا بالاتحاد مع لبنان.
2- الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية للبلاد بدلا من اللغة التركية.
3- الغاء الرقابة ورفع القيود التي تعوق حرية الرأي وانتشار التعليم.
4- استخدام القوات المجندة من أهل البلاد في المهام الداخلية فقط[4].

فالبرغم من أن حركة الجامعة الإسلامية لقيت ترحيبا كبيرا في نفوس المسلمين بالرغم من بعض المواقف التي عارضتها وحاولت احباطها إلى أن حركة الجامعة الإسلامية تأرجحت بين النجاح أحيانا والفشل أحيانا أخرى، إلا أن بعض العوامل مجتمعة أدت بها في النهاية إلى تعثرها وفشلها ، خاصة بعد الاطاحة بحكم السلطان عبد الحميد الثاني.

---

[1]- محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص82.
[2]- نفسه، ص73.
[3]- جورج انطونيوس، المرجع السابق، ص149،159.
[4]- اسماعيل حلمي محروس، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م، ص346.

خاتمة

الخاتمة

خاتمة:

حسب دراستنا للفكرة الجامعة الإسلامية بين جمال الدين الأفغاني و السلطان عبد الحميد توصلنا إلى عدد الثاني، من الاستنتاجات نذكر منها:

– كان جلوس السلطان عبد الحميد الثاني على كرسي العرش في فترة تعتبر من أصعب الفترات الحرجة في تاريخ الإمبراطورية العثمانية، جراء ضعفها الداخلي اقتصاديا و عسكريا و علميا، وجراء الخطر الخارجي.

– كما شهدت فترة حكمه تزايد الثورات التي تدعوا إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية مزاد الطين بله الحرب الروسية العثمانية، والتي انتهت بعقد مؤتمر برلين الذي خرج بمقررات مجحفة في حق الدولة العثمانية.

– ازدياد خطر الهجرة اليهودية إلى فلسطين أيام الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد الثاني رغم اتخاذه الإجراءات اللازمة لمنع ذلك .

– تبلور فكرة الجامعة الإسلامية في ذهن الداعية جمال الدين الأفغاني كان أثناء إقامته ثماني سنوات في مصر، وهذا لمشاهدته استبداد الحكام وتزايد موجة الاستعمار الأوروبي على ارض الإسلام.

– قامت جريدة العروة الوثقى التي قام بإصدارها كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في باريس سنة1883م، بدور كبير في تحريك شعور المسلمين وايقاظهم من سبات دام عدة سنين.

– كان سعي جمال الدين إلى إنشاء الجامعة الإسلامية يهدف إلى تحويل الإمبراطورية العثمانية مركزا لاتحاد المسلمين، وهذا بالعودة لأمجاد الإسلام الأولى.

– كانت أفكار جريدة العروة الوثقى الداعية لمحاربة الدول الاستعمارية الأوروبية سببا في مطاردة بريطانيا للجريدة ومنعها للوصول إلى مصر، وانتهى الأمر بتوقف الجريدة عن الصدور بسبب الحصار الذي فرضته عليها بريطانيا.

– لقد جاءت دعوة جمال الدين الأفغاني لإنشاء الجامعة الإسلامية في الوقت الذي كان فيه السلطان عبد الحميد الثاني يعاني من نهب اقتصادي وسياسي وموجة غزو استعماري على إيلات دولته، فكان بأمس الحاجة لمثل هده الفكرة.

– بعدما مهد الأفغاني الأرضية لفكرة الجامعة الإسلامية، قام السلطان عبد الحميد باحتضانها محاولا تكريس النوازع الديني داخل سلطنته واتخاذ لقب الخليفة لتقوية نفوذه وبسط سيطرته على كافة أنحاء العالم الإسلامي.

الخاتمة

– كان السلطان عبد الحميد الثاني يهدف من جعل نفسه خليفة المسلمين داخل الدولة من اجل كسب الاحترام والهيبة لدى المسلمين، ويكون الزعيم الروحي للمسلمين لكونه اكبر عاهل داخل الإمبراطورية العثمانية.

–إن حركة الجامعة الإسلامية التي نادى بها السلطان عبد الحميد الثاني كانت لرفع شؤون الدولة العثمانية وعودة المسلمين للتضامن والوحدة الإسلامية إلا أن بعض العراقيل أعاقت استمرارها، والتي من بينها الضغط الخارجي من القوى الأوروبية.

–لقد ساعد الخط الحديدي الحجازي الذي تم إنشاؤه في عهد السلطان عبد الحميد الثاني على إعلاء شان الخلافة ونشر فكرة الجامعة الإسلامية وربط أجزاء الدولة المتباعدة، وتسهيل مهمة الدفاع عن الدولة في أي وقت ومن أي جهة كما سهل عملية الحج بعد ما كان المسلمين يقطعون ألاف الأميال لأداء هده الفريضة الدينية.

–استعمل السلطان عبد الحميد الثاني العديد من الوسائل لترويج لفكرة الجامعة الإسلامية كإقامة مدرسة العشائر، وإتباع سياسة التودد والاستمالة لشخصيات عربية، وكسب ولاء الطرق الصوفية وغيرها إلا أن هذه الوسائل لم تكن بقدر نجاح الخط الحديدي الحجازي لترويج للفكرة وازدياد عدد مؤيدي السلطان عبر كافة أرجاء العالم الإسلامي.

–لقد كان السلطان عبد الحميد الثاني يريد استخدام فكرة الجامعة الإسلامية لتحقيق أهدافه فقط وتدعيم سلطانه، ولقد قدم له جمال الدين الأفغاني مشروعات اكبر من طموحاته بكثير رغم الخلاف الذي وقع بينهما.

–لقيت الجامعة الإسلامية رواجا كبيرا ساعدتها عدة عوامل ومن ابرز دعاتها الشيخ محمد عبده، ورشيد رضا، ومصطفى كامل وغيرهم حيث روج هؤلاء للفكرة بالرغم من تميز واختلاف أفكار كل واحد عن غيره، حتى أضحى مشرع الجامعة الإسلامية مظهرا من مظاهر اليقظة العربية.

–لقد اختلفت المواقف الدولية حول فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية بين المؤيد والمعارض، كل حسب ما يخدم مصالحه هدا ما أثر على نجاح الحركة الذي تأرجح بين النجاح تارة والفشل تارة أخرى، ولقد كانت مساندة ألمانيا للفكرة واعتراف القيصر غليوم الثاني بعبد الحميد الثاني خليفة المسلمين كان من أجل بناء منافع دولية فقط،وكذلك تهديد مصالح بريطانيا بالرغم من أن عبد الحميد كان يدرك مطامع ألمانيا إلا أن الظروف حتمت عليه قبول صداقتها لأنه كان بأمس الحاجة لحليف قوي مثل ألمانيا.

–لقد تنوعت وسائل تأييد البلدان العربية للجامعة الإسلامية من تأييد معنوي ومادي، وكانت كلها عوامل مساعدة لنجاح ونشر الفكرة في أنحاء العالم.

الخاتمة

سجلت فكرة الجامعة الإسلامية الجهود التي قام بها كل من جمال الدين الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني في محاولة النهوض بالعالم الإسلامي من جديد وتوحيد كلمتهم عبر أنحاء العالم، حتى يشد بعضهم البعض كالبنيان المرصوص، بالرغم من الصعوبات التي واجهت الحركة ورغم الاختلاف الذي وقع بين الداعيتين.

قائمة الملاحق

الملحق (1)

﴿ هذه آخر صورة للسيد قبل مرض وفاته ﴾

*محمد رشيد رضا، المصدر السابق، ص21، 112.

الملحق (2)

جمـال الديـن الأفغـانـي

*موفق بني المرجة، المرجع السابق، 336.

الملحق (3)

* محمد رشيد رضا، المصدر السابق، ص22.

الملحق (4)

(السلطان عبد الحميد الثاني في شبابه)

*السلطان عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص217.

الملحق (5)

عبدالحميد الثاني في طفولته

عبدالحميد الثاني في شبابه

الأمير عبدالحميد أفندي ولي العهد

السلطان عبدالحميد الثاني بعد تولية الخلافة

عبدالحميد الثاني في كهولته

عبدالحميد الثاني في شيخوخته

*موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص 63.

الملحق (6)

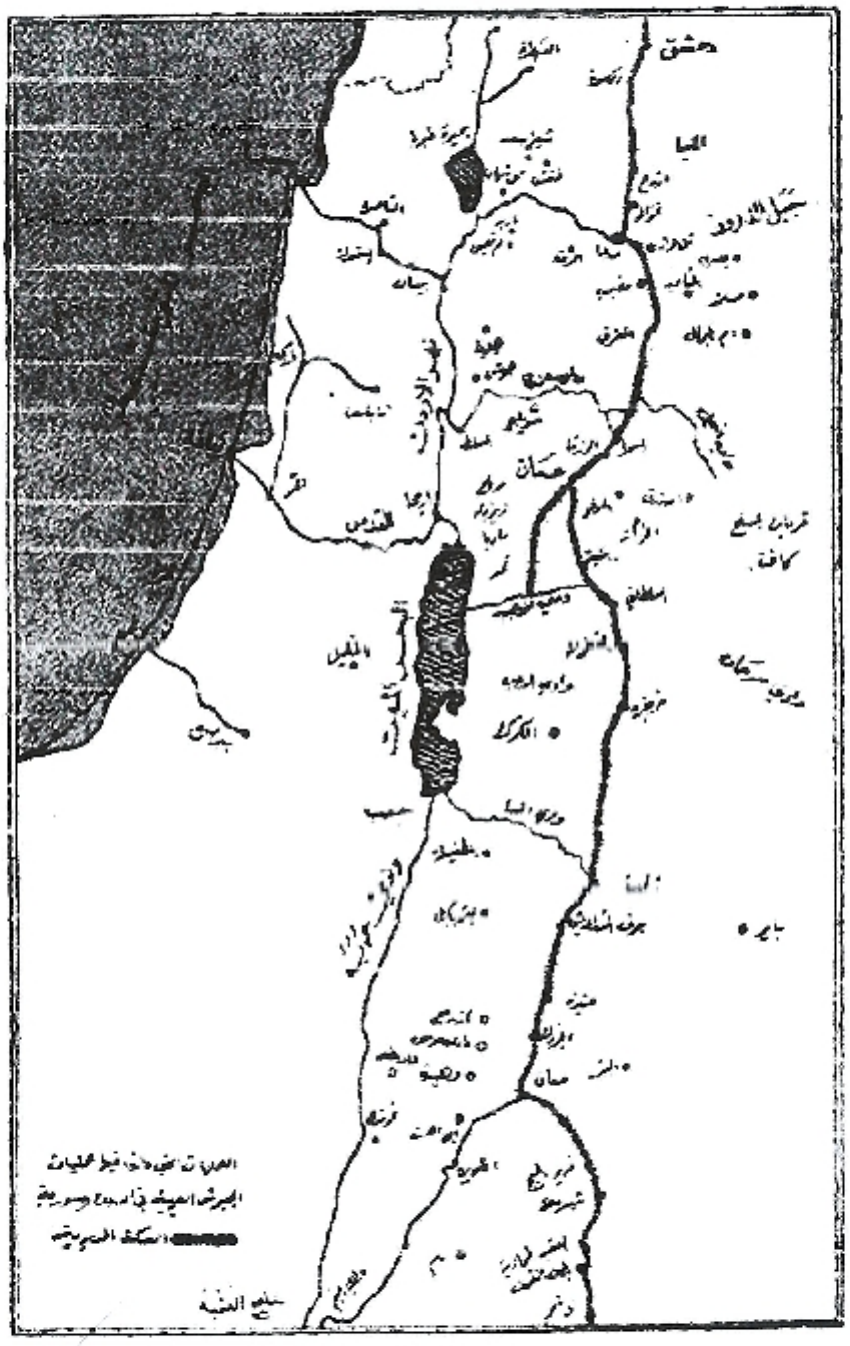

خريطة سكة حديد الخط الحجازي (من دمشق إلى المدينة المنورة)*

*المرجع نفسه، ص110.

الملحق (7)

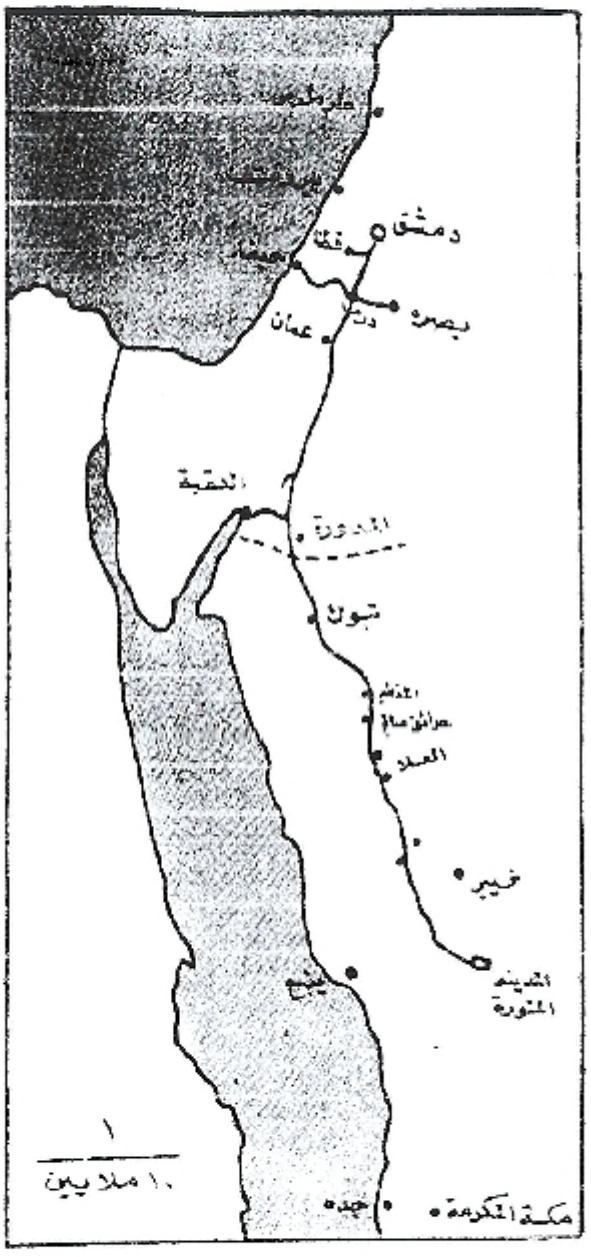

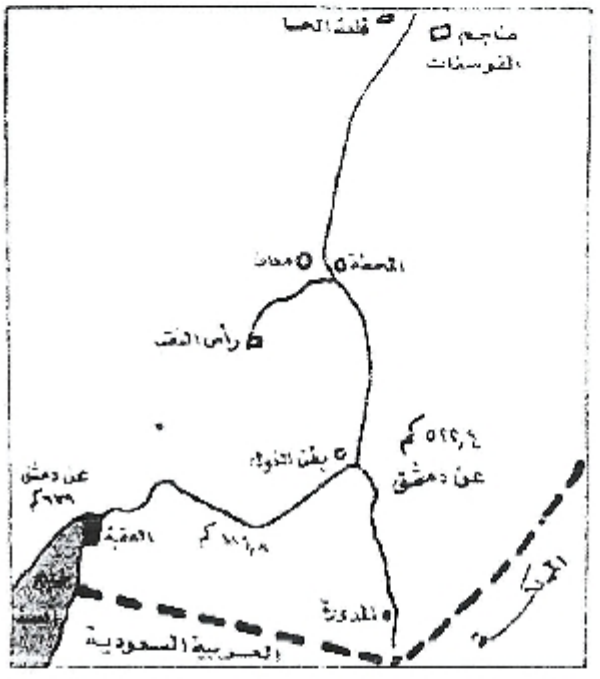

الجزء الاردني من الخط الحديدي الحجازي الذي جرت تقويته وتجديده إلى العقبة*

الخط الحديدي الحجازي وفروعه

*المرجع نفسه، ص110.

الملحق (8)

بيانات الأفغاني عن الصراع بين الإنجليز وفرنسا حول مصر

نيسان سنة ١٨٨٢ ضياء للناقدين ٣١

خروج الانكليز من مصر

نداء عن الأفغاني

وقع بعده

هذه احتلت على عهدة استقلتها بين الأمتين ؟ يقولون في بلاد مصر دواماً وعلى الكناية بأجزائهم لوردهم وعلى تصديقنا لقولهم انهم يخرجون من هذه البلاد متى اتوا سالم نفيا . ويعلم تراء المنظم الكرام انا لم نجعل عن هذا الاعتقاد ومن جواهرة بل من اول عدد من اعداد المنظم في هذا العدد .

والدليل واضح اذ متى اتخذ حضرة اللوذعي المتعمق على على ادلتنا التي عددنا بها اعتراضه يحكم بمكالة الناس الذي مبنيا عليه مذاقيا السابقين ويعلم ان سبع كل الطريق تبرأته وتسل عنه اعتقاده اليوم ولم تلبث توجدت الجلال وديباجيو الرقم .

واذا قول حضرة صديقنا بان القصد من سياسة فرنسا في هذه البلاد تعميم حق الاستقلال حتى لا يكون استقلالاً ذاتاً نوجب وانحة هذه ان نؤيدها وما اعترضها غير قول في غير محله . نعم انه لو كان المنظم يعارض سياسة فرنسا لمجرد مزاحمتها انكلترا بكل تصديقنا وجه ان يعترض دليلنا بما تقدم . ولكن كل من يطالع مقالات المنظم باعتناء يعلم ان المنظم يعارض سياسة فرنسا في مصر لانها تدعي مصالح مصر والحكومة المصرية لا لانها لليوم الانكليز في مصر . فان مدار سياسة فرنسا في مصر هو على امرين الواحد وجوب تعميم الاجانب على الوطنيين مزاحماً للمتيازات الاجانب والآخر منع الحكومة المصرية من استعمال اموالها لنفع بلدها وكلا الامرين مضر بمصالح مصر والمصريين لا محالة . نعم ان فرنسا تقصد بهذه السياسة مقاومة انكلترا وتعميم حد الاحتلال ولكنها سياسة اكيدة الضرر بمصر والمصريين وعديدة من حيث تعميم حق الاستقلال . ثم انا ماذكرنا على انها تضر بمصالح الحكومة المصرية عن عادة ٢٠ جانب سياسة الرقيا في بلادها ومن استعمال اموالها لنفع بلدها وأخرجت الاجانب من اتعام عملهم والجهاد عن هذه الديار . فالواجب يقتضي على كل جريدة وطنية انتشت لنصد امة عن حقوق البلاد والعلم ان تعارض هذه السياسة التي تضر بالبلاد وما نفعها وان كل احد في وسعه مدّ قليل فائدته بدليل واحد على ان سياسة فرنسا ومعارضتها في هذه الديار بعد الاحتلال دائمت بنفع حقيقي على هذه البلاد ارتاحت نفوس المصريين و اطمئنت تركهم من

آحتلال في امر من الامور . فهذه الجرائد التي معارضت جرائد الفيسرواي بانكلترا حتى بلغت مخاطبتها السير الموتي ان فائدة احتلالها مصر من انكلترا غير احتلال الاجانب من بعامة الوطنيين وان مصر ا خسرت احتلالها غير احتلال رجالها من دائرة وزارة حلة الاجانب الذين كانوا حائلين بينهم وبينها . وان تأثير انكلترا في تقدير الاحتلال وتعميل استهلاك . فان كانت هذه مواقب الدار البائسة التي مدّت فرنسا على الوطنيين بشللها الف مدة يساعدهم مثلها بعد الف مرة لما بلغت في مواقب سوء واكثر الذي دامت بمصرها .

المنظم يعارض سياسة فرنسا لانها مضرة بمصالح مصر لانها معاونة لسياسة انكلترا وقد قلنا ذلك مراراً واعدناه تكراراً ولو كان قصد المنظم معارضة فرنسا وتصغير انكلترا لتصدر الذات التي سئل الخلاف الجديدة التي مصر انكلترا بفرنسا وتصغر انكلترا في كل مسألة منها واطنب في وصفها ومدحها وبحث كل الفضل في هذا القطر الى انها تمثل الجرائد المتقدمة لفرنسا في ثلاثة اشهر فرنسا والمتقدمة لسواها في الفضا عن سواها . ولو كانت فرنسا تقصد معارضة انكلترا رأساً لا تعرّض لمصر ومصالح المصريين لكنه اعترض ابد الدهر لاستهلاك اقدامها بل كنا نؤيد سياستها التي مصلح معارضتها انما وجدناها مبنية على مبادئ العدل والصواب .

اما كون فرنسا لا يوجد في مصر الا سياسة واحدة وهي سياسة الاصلاح وتحقيقه الاحتلال في عدل الزمرة وهذه السياسة هي السياسة التي يجزي عليها الجانب العالي والسياسة التي تتبعها الحكومة المصرية والسياسة التي يحبب على كل مصري مراعاتها واتباعها واضح قيد بقيدها والدال عليه انها هي السياسة الثابتة لسير الخير في الاستقلال واطمئنان المصريين الزائد الاستقلال . فانكلترا فرنسا بعدما من معارضة هذه السياسة وانقاض انكلترا بما يوجب على الاستقلال فلا تجد من المصريين الا الشكر والاجلال .

اخذنا جريدة العروة قد وصلتنا من مكاتبها في بغداد وقد قرأنا في اعدادها الاولية مقالة:

ثلاثة الأمة . . . وضراعة الملة

بسم الله الرحمن الرحيم .

حماة الاسلام . وسادة الانام . ورواد دار السلام . وأئمة الدين الحنيف . وأركان الشرع المنيف .

---

*المرجع نفسه، ص131.

الملحق (9)

الوجه الأمامي لجريدة العروة الوثقى

العروة الوثقى

جريدة سياسية أدبية

تصدر الخميس

يوم الخميس سنة ٥ ربيع سنة ١٣٠١

٥ يوليو سنة ١٨٨٤

باريس سنة ٥ يوليه

*جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، الأثار الكاملة للعروة الوثقى، المصدر السابق، ص53.

الملحق (10)

فتوى خلع السلطان عبدالحميد الثاني[1]

في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٠٩م اجتمع ٢٤٠ عضواً من مجلس الاعيان في جلسة مشتركة وقرر بالاتفاق خلع السلطان عبدالحميد الثاني وكتب مسودة الفتوى الشيخ الكاتب حمدي افندي الثالي لكن أمين الفتوى نوري افندي الذي دعي للاجتماع رفض هذه المسودة وهدد بالاستقالة من منصبه ان لم يجر تعديل عليها وأيده في التعديل عدد من أنصاره من النواب فعدل القسم الاخير على أن يقرر مجلس المبعوثان عرض التنازل عن العرش أو خلعه.

واليكم نص الفتوى ذات التوجهين الموقع من قبل شيخ الاسلام محمد ضياء الدين افندي ووافق عليها مجلس المبعوثان بالاجماع..

«اذا قام أمام المسلمين زيد فجعل دينه طي واخراج المسائل الشرعية المهمة من الكتب الشرعية وجمع الكتب المذكورة والتبذير والاسراف من بيت المال والمخالفة خلاف الموضحات الشرعية وقتل وحبس وتغريب الرعية بلا سبب شرعي وسائر المظالم الأخرى ثم اقسم على الرجوع عن عمله ثم عاد فحدث وأصر على احداث فتنة ليخل بها وضع المسلمين كافة فورد من المسلمين من كافة الاقطار الاسلامية بالتكرار ما يشعر باعتبار زيد هذا خلعوا فلوحظ ان في بقائه ضررا محققا وفي زواله صلاحا فهل يجب على أهل الحل والعقد وأولياء الأمور أن يعرضوا على زيد المذكور التنازل عن الخلافة والسلطنة أو خلعه من قبلهم. الجواب: نعم يجب.

كتبه الفقير السيد محمد ضياء الدين عفا الله عنه. (٢)

التـوقيـع

شيخ الاسلام

محمد ضياء الدين أفندي

---

*مرافق بني المرجة، المرجع السابق، ص410.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

1- القرآن الكريم.

أ)- المصادر:

1-الأميرة عائشة عثمان أوغلي، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، تر: صالح سعداوي صالح، أشراف: أكمل الدين إحسان أوغلي، ط1، دار النشر، الأردن، 1991م.

2-إبراهيم بك حليم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية،ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988م.

3-جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، العروة الوثقى، تق: سيد هادي خسرو شاهي، ط2 ،المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، 1331ه.

4-جمال الدين ومحمد عبده، العروة الوثقى والثورة التحريرية، تح: صلاح الدين البستاني،ط2،دار العرب،القاهرة،1993م.

5- جمال الدين الافغاني، القضاء والقدر وأصول العقائد الإسلامية وأمهات التوحيدية، المطبعة المحمودية التجارية، مصر.

6- جمال الدين الأفغاني سلسلة الأعمال المجهولة، تح: علي شلش، رياض الريس للكتب والنشر، لندن.

7-جمال الدين الأفغاني، الرد على الدهريين، تق: محمد عبده، تح: محمد حامد محمد، مكتبة الشاملة.

8-حضرة عزتلو يوسف بك أصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تق:محمد زينهم محمد عزب، ط1 ،مكتبة مدبولي، القاهرة،م1965.

9-شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي،ط 4، دار الفكر ، بيروت، 1973م.

10- شكيب ارسلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، مر:حسن تميم، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت.

11-عبد الحميد الثاني، السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، ط1،مؤسسة الرسالة، بيروت،1977م.

12- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط5 ،دار العالم للملايين، بيروت، 1996م.

13-محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تر: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981م.

14- محمد باشا المخزومي، خاطرات جمال الدين الحسيني الأفغاني: أراء وأفكار، تق: سيد هادي خسرو

شاهي،ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،2002م.

15- محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ محمد عبده،ج1 ، ط2، دار الفضيلة، القاهرة، 2006م.

16- محمد عبده، الأعمال الكاملة، تح: محمد عمارة، ط1، دار الشروق، بيروت، 1994م .

17- ميرزا لطف الله خان الأسد بادي، حقيقة جمال الدين الأفغاني، تر:عبد النعيم حسني، ط1 ، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، 1986م.

18- يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، تح:محمود الأنصاري، م ،ط1 ،منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، 1990م.

ب) قائمة المراجع:

1- ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930م، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.

2- أبو اليزيد العجمي، القيم الدينية في مشروع النهضة عند جمال الدين الأفغاني 1838م-1897م.

3- أبو حسن علي الحسني الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية و الفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ط2، دار الندوة للتوزيع، لبنان، 1968م.

4- أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت .

5- أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، بيروت، 1986م-1406م.

6- إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان ، 1996.

7- أحمد نوري النعيمي ، الدولة العثمانية و اليهود، ط1 ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006م.

8- إسماعيل حلمي محروس، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.

9- ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798م-1939م، تر: كريم عزقول، ، دار النهار للنشر، لبنان.

10- الجميل سيار، تكوين العرب الحديث، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1997م.

11-أنور الجندي، السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث، ط1، دار إبن زيدون، بيروت، 1407هـ.

12-أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، ط 2، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1884م.

13-أنور الجندي، تاريخ الصحافة الإسلامية، ج1، مجلة المنار-رشيد رضا، د:ط، دار الأنصار.

14– جمال عبد الهادي محمد وآخرون، تاريخ الأمة الواحدة: صفحات من تاريخ الدولة العثمانية ، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

15- جمال عبد الهادي محمد مسعود و آخرون، الدولة العثمانية، أخطاء يجب تصحح في التاريخ، ج2، ط1،دار الصفاء ، المنصورة، 1995م.

16- جمال عبد الهادي محمد مسعود، وعلي لبن، المجتمع الإسلامي المعاصر، المدخل ، دار الوفاء، المنصورة، 1994م.

17 - جمال عبد الهادي محمد وآخرون، الدولة العثمانية أخطاء يجب أن تصحح، ج2، ط1، دار الوفاء، المنصورة، 1995م.

18- جميل بيضون وآخرون، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع ، 1992م.

19– جورج أنطونيوس، يقظة العرب،تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط8، دار العالم للملايين، بيروت، 1987.

20- جلال يحي، العالم العربي الحديث والمعاصر، ج1 ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998م.

21-حسان علي حلاق، دور اليهود والقوات الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش، 1908م-1909م، ، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت.

22- حسين جلال، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، د: ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004م.

23– رفيق شاكر النتشة، عبد الثاني وفلسطين، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1991م.

24- رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،د:ط، مطابع زمزم، باب اللوق، 2005م.

25- روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، تر: بشير السباعي ، دار الفكر، القاهرة.

26-زكريا قورشون، العثمانيون و آل سعود في الأرشيف العثماني(1745-1914م)، ط1، الدار العربية ، 2005م.

27- ستوادارد لوثروب، حاضر العالم الإسلامي، تر: عجاج نويهض، تحقيق: شكيب أرسلان، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

44-غربي الغالي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي، 1288-1916م ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

45- فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني: رؤية جديدة في ضوء المصادر والوثائق العثمانية، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003.

46- فرح قيصر، السلطان عبد الحميد الثاني والعالم الإسلامي، تر: محمد أنازوط، دار الجداول، 2008م.

47- فيليب حتي، تاريخ موجز العرب2، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1991م.

48- مجموعة مؤلفين، أضواء على التعصب من أديب اسحاق والأفغاني إلى ناصيف نصار، ط1، دار أمواج، بيروت، 1993م.

49– محمد الخير عبد القادر، نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية، دراسة للقضية العربية في خمسين عام (1785-1925)، ط1، دار التوفيق النموذجية ، 1985م.

50- محمد محمد حسن، الإسلام والحضارة الغربية، دار الفرقان.

51- محمد مصطفى الهلالي، السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود، ط1، دار الفكر، دمشق، 2004م.

52- محمود أبو رية، جمال الدين الأفغاني 1838م-1898م، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1981م.

53- محمود أبورية، جمال الدين الأفغاني تاريخه ورسائله ومبادئه ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1966م.

54- مصطفى حلمي، الأسرار الخفية وراء الغاء الخلافة العثمانية، دراسة حول كتاب "التنكير على سنكري الدين والخلافة والأمة"، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.

55- مصطفى فوزي بن عبد اللطيف غزال، دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، ط1، دار طيبة، الرياض، 1983م.

56- موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، مؤسسة صقر الخليج، الكويت، 1984م.

57- ماري دكران سركو،دمشق في فترة السلطان عبد الحميد الثاني، 1293ه-1325ه/1876م-1908م، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب،دمشق، 2010م.

58- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر:نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار العالم للملايين، بيروت، 1968م.

59- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1991م.

60- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصابور شاهين، ط1، دار الفكر، دمشق، 2002م.

61-مجدي عبد الحافظ، جمال الدين وإشكاليات العصر ، المجلس الأعلى للثقافة، 1998م.

62- محمد الخير عبد القادر، نكبة الامة العربية بسقوط الخلافة العثمانية، دراسة للقضية العربية في 50 عاما ،1875م الى 1925م، ط1، دار الترفيق، 1985م.

63- محمد المنوني وآخرون، تجديد الفكر الإسلامي، ط1، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، بيروت، 1989م.

64- محمد أمان صافي، تأثير فكر الأفغاني في فلسفة إقبال، ط1، الفارق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 1995م.

65- محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد، ط3، دار القلم، دمشق، 1991م.

66- محمد خير فلاحة، الخلافة من المهد إلى اللحد ، 2005م.

67- محمد ديب، أبطال الكفاح الإسلامي، ط1، مطبوعات الشعب، القاهرة، 1978م.

68- محمد سهيل طقوس، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط1، دار بيروت المحروسة، بيروت، 1995م.

69- محمد عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980م.

70- محمد عبد الله عودة و آخرون، مختصر التاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر و التوزيع، عمان، 1989م.

71- محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، ، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989م.

72- محمد عثمان الخشت، الإسلام والعلم بين الأفغاني ورينان، دار قباء، القاهرة، 1998م.

73- محمد علي أور خان، السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده، ط1، مكتبة الأنبار، العراق، 1987م.

74– محمد علي قطب، يهود الدونمة، أصلهم، نشأتهم، حقيقتهم، المطبعة الفنية، القاهرة.

75- محمد عمارة ، الطريق إلى اليقظة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1990م.

76- محمد عمارة، إحياء الخلافة الإسلامية حقيقة أم خيال، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2005.

77- محمد عمارة، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية، نموذج مصطفى كامل، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1994م.

78- محمد عمارة، الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1997م.

79- محمد عمارة، العرب والتحدي، عالم المعرفة، الكويت، 1978م.

80- محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، 1997م.

81- محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني المفترى عليه، ط1، دار الشروق، 1984م، القاهرة.

82- محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام المرجع السابق، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1988.

83- محمد عمارة، شخصيات لها تاريخ، ط1، دار السلام، الإسكندرية، 2008م.

84- نيئل الكستدر دولينا،الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية ،في ثلاثينات وأربعينيات القرن التاسع عشر ،تر :أنور محمد إبراهيم ، المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة،1999 م.

85- نعيم اليافي، حركة الإصلاح الديني في عصر النهضة، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 2000م.

86- هادي حسن عليوي، الاتجاهات الوحدوية في الفكر القومي العربي والمشرقي 1918م-1956م، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000م.

87 - هاني المرعشلي،العقل والدين، سلسلة نقد العقل التجديدي في الإسلام، ج3، د:ط المكتب العلمي، الإسكندرية، 2001م.

88-هدى درويش، الإسلاميون و تركيا العثمانية، نموذج الإمام سليمان حلمي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1998م.

89-هشام سوادي هاشم، تاريخ العرب الحديث1516-1918م، من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الفكر ،عمان،2001م.

90- ياسين بوعلي، حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة، ط1، دار الطليعة الجديدة، دمشق، 1998م.

91- يوسف القرضاوي، الإسلام والعلمانية وجها لوجه، ط2، مطبعة المدني، مصر، 1997م.

92- وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط1، دار الأهلية ، 2003م.

ج) الموسوعات و المعاجم:

1-أحمد الموصلي، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، ط1، بيروت، 2004م.

2-أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج5، ط7، مكتبة النهضة، المصرية، القاهرة، 1986م.

3- بهيج بجليس، موسوعة أحداث القرن العشرين، الحرب العالمية الأولى ونتائجها،ط ، دار نوبليس، بيروت، 2004م.

4- راغب السرجاني، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، ط1، مؤسسة إقرأ، 2005م.

5- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: محمد حسين بركات، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000م.

6 - فيراس البيطار، الموسوعة السياسية العسكرية ، ج1 ، دار أسامة، الأردن، 2003م.

7– عبد الرحيم عبد الرحمان، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، الإسلام والمسلمون في إفريقيا وأسيا، التاريخ الحديث والمعاصر ، دار الفكر العربي، القاهرة، 2008.

8- محمد بركات، موسوعة الحرب العالمية الأولى، قصة الأطماع ومأساة الصراع، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، 2007م.

9– محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، ج8، ط1، المكتب الإسلامي ، 2000م.

د) الرسائل الجامعية والدوريات:

1- عبد الرؤوف سنو، الدبلوماسية الألمانية ومحاولات إحياء الجامعة الإسلامية بين السلطنة العثمانية والمغرب الأقصى 1870-1890، حوليات بيروت،1992م

2- عبد الرؤوف سنو، النزاعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية، 1877-1881م، بلاد الشام-الحجاز-كردستان-ألبانيا، ط1، دار بيسان، بيروت، 1998م.

3- عبد الرؤوف سنو، تاريخ العرب والعالم، العلاقات الروسية العثمانية، 1687-1878م، حرب القرم : مسهداتها وتطوراتها ونتائجها، 1853-1856م، الحلقة الثالثة، 1985م.

4- أسامة عبد الله محمد النمين، السيد جمال الدين الأفغاني حكيم الشرق في العصر الحديث (1254-1314هـ/1839-1897م)، دورية كان التاريخية، ع 17، سبتمبر، 2012م.

5-زاهد روسان، منهج الأفغاني العقلي في دفاعه عن الإسلام ، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، ع1و2، 2008.

6- سليم رجب محمد، السلطان عبد الحميد ودوره في مواجهة الصهيونية، جامعة عمر المختار، 2011م،2012م.

7-عمار جيدل، نقد مسالك المسلمين في التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، دراسات مالك بن نبي والمشروع الحضاري، ع20، 2003م.

8-فضل معبود، السيد جمال الدين الأفغاني وخدماته الدينية والأدبية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراء، جامعة بشاور، 1980م.

فهرس الموضوعات